صور مشرفة من

محبة الصحابة رضي الله عنهم

للنبي صلى الله عليه وسلم

إعداد

أشرف أحمد عثمان

عفا الله عنه

دار القمة

لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي

فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

اسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩



صور مشرقة من

محبة الصحابة رضي الله عنهم

للنبي صلى الله عليه وسلم



رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

رقم الإيداع
٢٠٠٧/٨٨٢٤

الترقيم الدولي
977-331-449-9





دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠ - ٠٢٢٢٠٠٢ - ٥

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله مِن شُرُورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، مَن يَهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

(آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعــد:

فإن أصدقَ الحــديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محــمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

أحــبتي فــي الله؛ خلق الله - عزَّ وجلَّ - الخــلق وشرع لهم الــشرع مــوافق لفطرتهم التي خلقهم عليها سبحانه، ولم يأمرهم إلا بما في وسعهم الإتيان به، كما قال سبحانه: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

وكان من جملة مــا شرع لهم وأوجب عليهم سبحانه: هو مــحبة النبي ﷺ محبة تفــوق محبة النفس والأهل والولد والمال والعشــيرة ، وتوعدهم على ترك

ذلك وعيداً شـديداً، ثم حكم عليهم بالفسق وأعلمـهم أنهم من جملة من ضل ولم يهده الله، وعلـق كمال إيمانهم على مـحبـته ﷺ أكثـر من الولد والوالد والناس أجمعين، وأن من حُرم محـبة النبي ﷺ قد حُرم طعم الإيمان، والذي جاهد نفَسه وأتى بأسباب محبـة النبي ﷺ الواجبة عليه يفوز بمعيته ﷺ في الجنة ويفوز كـذلك بمعية الصـحابة الكرام - رضـوان الله عليهم -، وإن لم يأت بفعلهم . . كـما قال أنس رضي الله عنه : «إني احب ابا بكر وعمر، وارجو ان اكون معهم، وإن لم اقوم بمثل فعلهم».

هيا بنا أخي الحبيب نجاهد أنفسنا للقيـام بأسباب محبة النبي ﷺ ؛ لنفوز بتذوق طعم الإيمان في الدنيا ثم بمعية النبي ﷺ وأصحابه في الفردوس الأعلى في الآخرة.

لذا، فقـد قمت جاهداً بمحاولة لتـجميع أسـباب محبـة النبي ﷺ ، وقد قدمت لهـا ببيـان وجوب محـبتـه ﷺ ثم بمثوبة محـبتـه ﷺ ، ثم ذكرت الأسباب الموصلة لتلك المحبة المنشودة، ثم ذكرت علامـات محبته ﷺ لنختبر أنفسنا ونقف على مستوانا الحقيقي لمحبة النبي ﷺ .

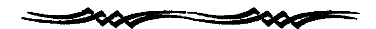
نسأل الله - عَزّ وجَلّ - الإخلاص والقبول

أخوكـم

(أبـو عمـر)

أشرف أحمد عثمان الأزهري

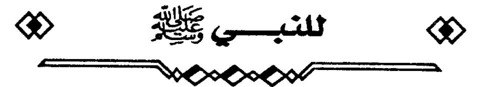
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين





صور من محبة الصحابة رضي الله عنهم

للنبــــي ﷺ



الصحابة رضي الله عنهم هم أعلم الخلق بمراد الحق - سبحانه وتعالى - من قوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦).

يقول السعدي - رحمه الله -: أقرب ما للإنسان وأولى ما له نفسه، فالرسول أولى بالمؤمن من نفسه؛ لأنه ﷺ بذل لهم من النصح والشفقة والرأفة ما كان به أرحم الخلق وأرأفهم، فرسول الله أعظم الخلق منة عليهم من كل أحدٍ، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر إلا على يديه وبسببه؛ فلذلك وجب عليهم إذا تعارض مراد النفس أو مراد أحد من الناس مع مراد الرسول أن يقدم مراد الرسول وأن لا يعارض قول الرسول بقول أحد كائنًا من كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلهم.

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: فمن حقه ﷺ أن يؤثره العطشان بالماء، والجائع بالطعام، وأنه يجب أن يوقى بالنفس والأموال كما قال - عزَّ وجَلَّ -: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ (التوبة: ١٢٠). فنقاء قلوب الصحابة وفهمهم الصحيح جعلتهم يستحضرون كل هذه المعاني التي أرادها ربنا - سبحانه وتعالى - في كتابه، لذلك تجد صور محبتهم الصادقة للنبي ﷺ كثيرة ومتكررة.

من هذه الصور النيرة:

ما ورد عن أبي بكر رضي الله عنه في محبته للنبي ﷺ: لقد أحب أبو بكر رضي الله عنه النبي ﷺ حبًا ملك عليه لُبه وفؤاده وجوارحه، حتى إنه كان ليتمنى أن يفدي

النبي ﷺ بنفسه وماله وولده والناس أجمعين.

تقول عائشة رضي الله عنها لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ، وكانوا ثمانية وثلاثون رجلاً، ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: «يا أبا بكر، إنا قليل»، فلم يزل أبو بكر يُلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضُربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا، ووطئ أبو بكر وضرب ضربًا شديدًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفها لوجهه ونزً (أي وثب) على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه.

وجاء بنو تيم (قوم أبي بكر) يتعادون فأجلت قريش عن أبي بكر وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله؟ فمسُّوا منه بألسنتهم وعذلوه ثم قاموا، وقالوا لأمه: أم الخير، انظري أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إياه. فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلي ابنك ذهبت، قالت: نعم.

فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا، فدنت أم جميل وأعلنت

الصياح، وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟، قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟، قالت: في دار ابن الأرقم. قال: فإن لله عليَّ ألا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى آتي رسول الله ﷺ . . . فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله وأكب عليه المسلمون ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع لها عسى أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الإسلام فأسلمت[1].

ومن صور محبة الصديق للنبي ﷺ:

ما ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ وقد أخذته قريش فذا يجبأه[2] وهذا يتلتله[3] وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدة؟ قال: فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجبأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (غافر: ٢٨).

ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم فقال: ألا تجيبوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه[4].

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/٢٩-٣٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٤٦-٤٧): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن أبي الحرث وهو ثقة.

(٢) يجبأه: أي فجأة وبغتة.

(٣) يتلتله: يحركه ويزعزعه من مكانه.

(٤) «تاريخ الخلفاء» (٣٧).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [1].

ومن صور محبته رضي الله عنه للنبي ﷺ:

ما رواه ضبة بن محصن العنزي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة ذكرها قال: فقال عمر: والله لليلة من أبي بكر خير من عُمر، عمر هل لك أن أحدثك بليلته ويومه؟ قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: أما ليلته: فلما خرج رسول الله ﷺ هارب من أهل مكة خرج ليلاً فتبعه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره، فقال له رسول الله ﷺ: «ما هذا يا أبا بكر، ما أعرف هذا من فعلك؟»، قال: يا رسول الله، أذكر الرصد، فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك، قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه، فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه أنها قد حفيت حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى آتى به فم الغار، فأنزله ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك، فدخل فلم ير شيئًا فحمله فأدخله. وكان في الغار خَرقٌ فيه حيات وأفاعي فخشى أبو بكر أن يخرج منهن شيء يؤذي رسول الله ﷺ فألقمه قدمه فجعلن يضربنه ويلسعنه الحيات والأفاعي وجعلت دموعه تنحدر، ورسول الله ﷺ يقول له: «يا أبا بكر، لا تحزن إن الله معنا»، فأنزل الله سكينته إلا طمئانية لأبي بكر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥٦).

فهذه ليلته، وأما يومه: فلما توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي، وقال بعضهم: لا نصلي ولا نزكي، فأتيته ولا آلوه نصحًا، فقلت: يا خليفة رسول الله، تألَّف الناس وارفق بهم، فقال: جبار في الجاهلية خوار في الإسلام، فبماذا أتألفهم، أبشعر مفتعل أو بشعر مفترى؟ قبض النبي ﷺ وارتفع الوحي، فوالله لو منعوني عقالاً كانوا يعطون رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، قال: فقاتلنا معه، فكان والله رشيد الأمر، فهذا يومه»[(١)].

ومن صور محبته أيضًا للنبي ﷺ:

إنفاذ جيش أسامة تعظيمًا لأمر رسول الله ﷺ، وقد أشار بعض الصحابة منهم عمر رضي الله عنه بعدم إنفاذه لارتداد من ارتد من العرب.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد الذين قد أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام حيث قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة، فيغيروا على تلك الأراضي، فخرجوا إلى الجرف فخيموا بها، وكان بينهم عمر بن الخطاب ويقال وأبو بكر الصديق، فاستثناه رسول الله ﷺ منهم للصلاة، فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا هنالك، فلما مات عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة.

وكانت جونيا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في (صحيح البخاري) عن ابن عباس، وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام ولم يفروا ولا ارتدوا، المقصود أنه لما وقعت هذه الأمور أشار كثير

---

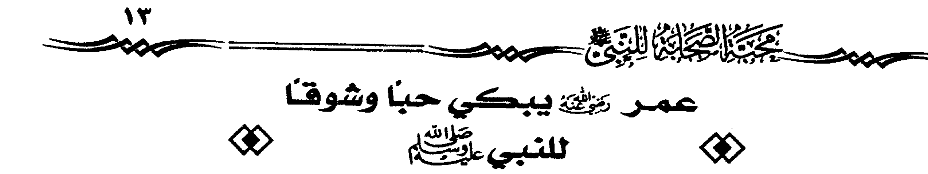
(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٧٧).

من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم؛ لأن ما جُهز بسببه في حال السلامة، كان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فامتنع الصديق من ذلك وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة رضي الله عنه وقال: «والله لا احل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو ان الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة ولو ان الكلاب جرت بأرجل امهات المؤمنين لأجهزن جيش اسامة». وأمر الحرس يكونون حول المدينة، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يومًا ويقال سبعين يومًا ثم أتوا سالمين غانمين ثم رجعوا فجهزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة ومانعي الزكاة[1].

فهذا موقف إيماني من الصديق رضي الله عنه، وكان أعلم الصحابة بمقاصد رسول الله ﷺ وأكثرهم تعظيمًا لأمره، وقد ظن كثير من الصحابة منهم عمر رضي الله عنه أن عدم إنفاذ جيش أسامة إلى شمال الجزيرة هو الأفضل، حتى يتفرغوا لقتال المرتدة، ولكن الصديق أبى أن يفك عقدة عقدها رسول الله ﷺ، وكان من بركة تعظيمه لأمر رسول الله ﷺ أن تم ما قصده أبو بكر وكذا أرهب جيش أسامة قبائل العرب، فعاد كثير منهم إلى الإسلام.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٦/ ٣٤٣).



عمر رضي الله عنه يبكي حبًا وشوقًا للنبي ﷺ

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ﴾ (الفتح: ٢٩).

رضي الله عنهم نصروا الله فنصرهم وأعزهم، وأحبوا رسوله فأحبهم وأنزل فيهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، ومدحهم بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقال فيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨).

فرضي الله على الفقراء منهم والمهاجرين: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر: ٨)، ورضي الله عنهم إذ كان الرسول ﷺ أحب إليهم من أنفسهم وأموالهم ووالديهم وأولادهم والناس أجمعين، ولذا قال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه»[(١)].

ورضي الله عن عمر بن الخطاب، حيث كان يبكي حبًا وشوقًا إلى رسول الله ﷺ، ويقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد كان جذع تخطب الناس عليه، فلما كثر الناس اتخذت منبرًا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم بأبي أنت وأمي،

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، والترمذي (٣٨٦١).

لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته، فقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب، فقال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٤٣)، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك أولهم، فقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ﴾ (الأحزاب: ٧)، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون: ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ (الأحزاب: ٦٦).

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجراً تنفجر منه الأنهار فماذا أعجب من أصابعك حين نبع منها الماء، صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ (سبأ: ١٢)، فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح، صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت الذراع لا تأكلني فإني مسمومة، بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح: ٢٦)، ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا، فلقد وُطئ ظهرك وأُدمي وجهك وكُسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيراً فقلت: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[1]، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٦٩٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/ ١٨٩)، وقال الهيثمي (٦/ ١١٧): رجاله رجال الصحيح، والمراد بقوله: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»: يوم أحد.

ما لم يتبع نوحًا في كثرة سنه وطول عمره، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لو لم تجالس إلا كفؤًا لك ما جالستنا، ولو لم تنكح إلا كفؤًا لك ما نكحت إلينا، ولو لم تؤاكل إلا كفؤًا لك ما واكلتنا، فلقد والله جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعًا منك ﷺ .

فهذه أخي الحبيب ترجمة لما يدور في خُلد الصحابة من محبة النبي ﷺ .

ومن صور محبة عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ أيضًا:

تفضيله لأسامة بن زيد على ولده عبد الله بن عمر؛ لحب رسول الله ﷺ لأسامة وأبيه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فرض عمر لأسامة ثلاثة آلاف وفرض له ألفين وخمسمائة، فقلت له: يا أبت لم تفرض لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف ولي ألفين وخمسمائة، والله ما شهد أسامة مشهدًا غبت عنه، ولا شهد أبوه مشهدًا غاب عنه أبي، قال: صدقت يا بني، ولكني أشهد لأبوه كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وهو أحب إلى رسول الله ﷺ منك»[1].

هذا الموقف من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يظهر فيه شدة محبته لرسول الله ، وإيثار من هو أحب إلى رسول الله ﷺ .

▪ وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشجاعته التي يعجز عن وصفها يوم أن نام على فراش النبي ﷺ .

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٥٥٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قال ابن إسحاق: أتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال: «لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي تبيت عليه»، قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم»، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده هذا إذا نام.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه: إن محمدًا يزعم أنكم إن تابعتموه علي أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نارًا تحرقون فيها.

قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: «أنا أقول ذلك، أنت أحدهم»، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات: ﴿يس ① وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ② إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ③ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ④ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ (يس:١-٩)، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمد، قال: خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابًا وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل

منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليًا على الفراش مستجيًا ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائمًا، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي ﷺ عن الفراش فقالوا: لقد كان صدقنا الذي حدثنا[1].

- فهذا موقف إيماني من حيدرة علي بن أبي طالب ﷺ، وما أكثر مواقفه الإيمانية وهو يعلم ﷺ أن قريشًا تقصد رسول الله ﷺ يريدون أن يفرقوا دمه في القبائل، وقد أثبت الله - عَزَّ وجَلَّ - مكرهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠)، ولكن النفوس تهون حتى ينجو رسول الله ﷺ، إنه الحب الذي ملأ قلوب الصحابة الكرام لرسول الله ﷺ فهانت عند ذلك الأرواح والأموال.

وتظهر محبة الأنصار للنبي ﷺ يوم بدر:

قال ابن إسحاق: «وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا بعيرهم، فاستشارالناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال: وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال: وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغمام لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال رسول الله ﷺ: «خيرًا»، ثم دعا له به.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**اشيروا عليَّ أيها الناس؟**»، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله، إنا برآء

---

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٢/ ٢٢٢-٢٢٣).

من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من غير بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «اجل»، قال: لقد امنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقي بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله». فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا وابشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله كأني انظر إلى مصارع القوم غداً»[1].

• وأنس بن النضر رضي الله عنه يا له من محب .. عن أنس رضي الله عنه قال: غاب أنس ابن النضر عم أنس بن مالك عن قتال بدر، فلما قدم قال: غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني الله قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد ، وانكشف المسلمون فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين -، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين -.

ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد واهًا لريح الجنة. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من ضربة

(١) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٣٣-٣٤).

بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم قد مثلوا به. قال: فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه. قال أنس: فكنا نقول أنزل فيه هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣)، إنها فيه وفي أصحابه(١).

✿ وفي رواية: «انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ ، فقالوا: قتل رسول الله ﷺ ، فقال: ما تصنعون بالحياة بعده، فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتِلَ ، وبه سمي أنس بن مالك»(٢).

✿ وأبو دجانة، يتلقى النبل بظهره حتى لا يصاب النبي ﷺ بأذى .. عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السكن، أن رسول الله ﷺ قال يوم أُحد حين غشيه القوم: «من رجل يشري لنا بنفسه»، فقام زياد بن السكن في خمسة نفرمن الأنصار وبعض الناس يقول: إنما هو عمارة بن زياد بن السكن، فقاتلوا عن رسول الله ﷺ رجل ثم رجل يقتلون دونه حتى كان آخرهم زيادًا أو عمارة ابن زياد، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ثم فاءت من المسلمين فيئة فأجهضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ : «ادنوه مني»، فأدنوه منه فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ وترَّس دون رسول الله ﷺ أبو دَجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحني على رسول الله ﷺ حتى كثرت فيه النبل(٣).

✿ وسعد بن الربيع وهو يجود بنفسه يقول لقومه: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).
(٢) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٢٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٤٥).
(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٣٤).

عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع، وقال لي: «إن رأيته فاقرئه مني السلام، وقل له يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟»، قالت: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في اخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد: إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك أخبرني كيف تجدك؟ قال: على رسول الله ﷺ وعليك السلام، قل له: يا رسول الله، أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله إن خُلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف. قال: وفاضت نفسه[1].

✿ وطلحة بن عبيد الله ﷺ في أحرج اللحظات يقول: «نحري دون نحرك يا رسول الله».

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار فيهم طلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل، فلحقهم المشركون فقال: «الا احد لهؤلاء؟»، فقال طلحة: أنا يا رسول الله، فقال: كما أنت يا طلحة، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه ثم قُتل الأنصاري فلحقوه فقال: «الا احد لهؤلاء؟»، فقال طلحة: مثل قوله، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فأذن له، فقاتل مثل قتاله وقتال صاحبه ورسول الله ﷺ ومن بقي معه يصعدون، ثم قُتل فلحقوه، فلم يزل رسول الله ﷺ يقول مثل قوله الأول ويقول طلحة: أنا يا رسول الله فيحبسه فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأذن له، فقاتل مثل قتال من كان قبله حتى لم

---

(١) ابن هشام (٣/ ٣٨-٣٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٤٨).

يبق معه إلا طلحة، فغشوهما، فقال رسول الله ﷺ: «من لهؤلاء؟»، فقال طلحة: أنا، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله فقال: حَسٍّ. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت بسم الله أو ذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتي تلج بك في جو السماء»، ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون[1].

وفي أثناء انسحاب رسول الله ﷺ إلى الجبل عُرضت له صخرة من الجبل، فنهض إليها ليعلوها فلم يستطع لأنه كان قد بدن وظاهر بين الدرعين وقد أصابه جرح شديد، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها، وقال: «أوجب طلحة» أي الجنة[2].

ويشرف نبي الله ﷺ فينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: «يا نبي الله، بأبي أنت وأمي لا تشرف لا يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك»[3].

حمراء الأسد واستجابة المحبين:

لما عاد النبي ﷺ من أحد وقد قتل من الصحابة ﷺ وجرح من جرح منهم وأشيع بين الصحابة الكرام أن رسول الله ﷺ قد قتل فأثابهم الله - عزَّ وجَلَّ - غمًا بغم، وعاد الصحابة الكرام ﷺ إلى المدينة بعد أن دفنوا الشهداء الكرام في مصارعهم ونما إلى علم النبي ﷺ أن أبا سفيان بن حرب يفكر في أن يعود إلى المدينة من أجل أن يستأصل شأفة المسلمين ويبيد خضراءهم، فندب النبي ﷺ الصحابة للخروج، واشترط أن لا يخرج معه إلا من خرج

---

(١) حسن أخرجه النسائي (٣١٤٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٣٨)، ابن هشام (٣/ ٣/ ٢٩-٣٠).

(٣) البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٤٠).

بالأمس، فخرج الصحابة ﷺ استجابة لأمر الله - عَزَّ وجَلَّ - وأمر رسوله ﷺ على ما بهم من جراح ومن حزن على القتلى تعظيمًا لأمر الله - عَزَّ وجَلَّ - وأمر رسوله ﷺ.

وسجل الله - عَزَّ وجَلَّ - لهم هذا الموقف الإيماني في كتابه الخالد، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٧٢-١٧٤).

قال ابن إسحاق: فلما كان الغد يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، فأذن مؤذنه ألا يخرجن معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله بن حرام فقال: يا رسول الله، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال: يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أؤثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي فتخلف مع أخوتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه، وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهبًا للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم[1].

• جابر بن عبد الله يرى بالحبيب شيئًا لا صبر له عليه: قال: كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق نحفر فيه، فلبثنا ثلاثة أيام لا نطعم شيئًا ولا نقدر عليه،

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ١٧٣-١٧٤).

فعرضت في الخندق كدية[١]، فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذه كدية قد عرضت في الخندق فرششنا عليها الماء، فقام رسول الله ﷺ وبطنه معصوبة بحجر، فأخذ المعول أو المسحاة ثم سمى ثلاثًا ثم ضرب فعادت كثيبًا[٢] أهيل.

فلما رأيت ذلك من رسول الله ﷺ قلت: يارسول الله، ائذن لي. قال: فأذن لي، فجئت امرأتي فقلت ثكلتك أمك، إني قد رأيت من رسول الله ﷺ شيئًا لا صبر عليه، فما عندك؟ قالت: عندي صاع[٣] من شعير وعناق[٤]، قال: فطحنا الشعير وذبحنا العناق وأصلحناها وجعلناها في البرمة وعجنت الشعير ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ، فلبث ساعة ثم استأذنته الثانية فأذن، فجئت فإذا العجين قد أمكن، فأمرتها بالخبز وجعلت القدر على الأثافي، ثم جئت رسول الله ﷺ فساررته فقلت: إن عندنا طعيمًا لنا، فإن رأيت أن تقوم معي أنت ورجل أو رجلان معك فعلت، فقال: «ما هو؟ وكم هو؟»، قلت: صاع من شعير وعناق، قال: «ارجع إلى أهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الأثافي ولا تخرج الخبز من التنور حتى آتي»، ثم قال للناس: «قوموا إلى بيت جابر»، قال: فاستحييت حياءً حتى لا يعلمه إلا الله، فقلت لامرأتي: ثكلتك أمك وقد جاءك رسول الله ﷺ وأصحابه أجمعون، فقالت: أكان رسول الله ﷺ سألك عن الطعام؟ قلت: نعم، قالت: الله ورسوله أعلم، قد أخبرته بما كان عندك، فذهب عني بعض ما كنت أجد، قلت: لقد صدقت.

فجاء رسول الله ﷺ، فدخل ثم قال لأصحابه: «لا تضاغطوا»[٥]، ثم برك على التنور وعلى البرمة، فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ اللحم من البرمة

---

(١) كدية: الأرض الصلبة.
(٢) الكثيب: المجتمع من الرمل.
(٣) الصاع: مكيال وهو خمسة أرطال وثلث.
(٤) عناق: الأنثى من ولد المعز قبل استكمال الحول.
(٥) لا تضاغطوا: لا تزدحموا.

فنثرد ونغرف ونقرب إليهم، وقال رسول الله ﷺ : «ليجلس على الصحفة سبعة أو ثمانية»، فلما أكلوا كشفنا التنور والبرمة فإذا هما قد عادا إلى أملأ ما كانا، فنثرد ونغرف ونقرب إليهم، فلم نزل نفعل ذلك كلما فتحنا التنور وكشفنا عن البرمة وجدناها أملأ ما كانا حتى شبع المسلمون منها وبقيت طائفة من الطعام، فقال لنا رسول الله ﷺ : «إن الناس قد أصبتهم مخمصة[1]، فكلوا وأطعموا»، فلم نزل يومنا نأكل ونطعم[2].

فانظر - رحمني الله وإياك - كيف صبر جابر رضي الله عنه على جوعه، لكنه لم يصبر على جوع النبي ﷺ فأسرع وقال لزوجته: «قد رأيت من رسول الله ﷺ شيئًا لا صبر عليه»، وعند الحاكم قال لها: «قد رأيت من رسول الله ﷺ أمرًا غاظني»[3]. فهل يكون هذا إلا من محب صادق في محبته.

• وحذيفة بن اليمان، ذاك المحب مع شدة الخوف والجوع والبرد يعلن محبته للنبي ﷺ.

عن محمد بن كعب القرظي قال: قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولجعلناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ من الليل هويًا ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، يشترط له رسول الله ﷺ أنه يرجع أدخله الله الجنة؟»، فما قام رجل.

(١) مخمصة: جوع.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤١٠١).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣١)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٢٥).

ثم صلى رسول الله ﷺ هويًا من الليل، ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة؟». فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: «يا حذيفة، قم فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون، ولا تُحدثن شيئًا حتى تأتينا».

قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل ما تفعل لا تقر لهم قدر ولا نار ولا بناد، فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسه، فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلا بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ: «لا تحدث شيئًا حتى تأتيني»، ولو شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة: ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مُرجل، فلما رآني أدخلني إلى رحله وطرح عليَّ طرف المُرط ثم ركع وسجد وإني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت عطفان بما فعلت قريش فانشمروا إلى بلادهم[1].

أرأيت، اجتمع على حذيفة البرد والجوع والخوف، ومع ذلك أسرع في إجابة النبي ﷺ؛ لأنه صادق في محبته للنبي ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٢).

❁ وها هو خبيب بن عدي، يضرب المثل الأعلى في محبة النبي ﷺ.

فهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه يصلبه المشركون في مكة ويحتشدون حوله في شماتة ظاهرة، ويشحذ الرماة رماحهم لتمزيق هذا الجسد الطاهر في جنون ووحشية، فالتفت إليهم خبيب رضي الله عنه قائلاً: «دعوني أركع ركعتين»، فتركوه فصلاهما، فلما سلم قال: «والله لولا أن تقولوا أن ما بي جزع من الموت لزدت»، فكان أول من سن الركعتين عند القتل، ثم قال: «اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا». فاقترب منه أبو سفيان قائلاً: أيسرك أن محمدًا عندنا نضرب عنقه وإنك في أهلك؟، فقال: «لا والله، ما يسرني أني في أهلي وأن محمدًا ﷺ في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه»[(١)].

هذا هو الحب الصادق الذي تغلغل في قلوبهم - رضي الله عنهم جميعًا -.

❁ وروي أن طلحة بن البراء رضي الله عنه، لما لقى النبي ﷺ يجعل يلصق برسول الله ﷺ ويقبل قدميه، قال: يا رسول الله، مرني بما أحببت، ولا أعصي لك أمرًا .. فعجب النبي ﷺ لذلك وهو غلام، فقال له عند ذلك: «اذهب فاقتل أباك»، فخرج موليًا ليفعل، فدعاه فقال له: «اقبل، فإني لم أبعث بقطيعة رحم»[(٢)].

❁ وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: أهدي إلى النبي ﷺ قوس فدفعها إليّ رسول الله ﷺ يوم أحد، فرميت بها بين يدي رسول الله ﷺ حتى اندقت سيتها، ولم أزل على مقامي نُصب وجه رسول الله ﷺ ألقي السهام

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٦).

(٢) ذكره صاحب كتاب «حياة الصحابة» وعزاه للكنز (٧/ ٥٠)، «الإصابة» (٢/ ٢٢٧).

بوجهي كلما مال سهام منـها إلى وجه رسول الله ﷺ ميَّلت رأسي لأقي وجه رسول الله ﷺ بلا رمي أرميه»[1].

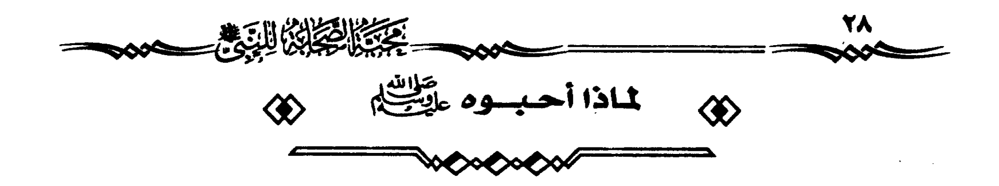
❁ وعن أنس بن مـالك رضي الله عنه قـال: لما كـان يـوم أحـد حـاص أهل المدينة حيصـة، وقالوا: قتل محمد حـتى كثرت الصوارخ في ناحيـة المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار محرمـة فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجـها وأخيها لا أدري أيهم استقـبلت به أولاً، فلما مرت على أحدهم قـالت: من هذا؟ قالوا: أبوك أخوك زوجك ابنك، حـتى دفعـت إلى رسول الله ﷺ، فـأخذت بـناحيـة ثوبه ثم قالت: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذ سلمت من عطب»[2].

فكل هذه الصور التي ذكرنـاها من محبة الصحـابة الصادقة للنبي ﷺ لا تتأتى إلا لمن توفرت لديه أسباب قوية لمحبـته، فلماذا أحبوه؟ هذا ما سوف نجيب عنه في الأسطر القليلة القادمة.

---

(١) المصدر السابق وعزاه للطبراني.

(٢) المصدر السابق وعزاه للهيثمي في «المجمع» (٦/ ١١٥)، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط».



لماذا أحبوه ﷺ

لقد بُعث النبي ﷺ إلى الناس بالدعوة الربانية، ولم يكن له دعاية من دنيا، فلم يُلق إليه كنز وما كانت له جنة يأكل منها ولم يسكن قصرًا، فأقبل المحبون يبايعون على شظف من العيش وذروة من المشقة يوم كانوا قليلاً مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس من حولهم، ومع ذلك أحبه أتباعه كل الحب .. حوصروا في الشِّعب وضيّق عليهم في الرزق، وابتُلوا في السمعة، وحوربوا من القرابة، وأوذوا من الناس، ومع هذا أحبوه كل الحب.

سُحب بعضهم على الرمضاء، وحُبس آخرون في العراء، ومنهم من تفنن الكفار في تعذيبه وتأنَّقوا في النكال به، ومع هذا أحبوه كل الحب .. سُلبوا أوطانهم ودورهم وأهليهم وأموالهم، طُردوا من مراتع صباهم وملاعب شبابهم ومغاني أهلهم، ومع هذا أحبوه كل الحب .. ابتُلي المؤمنون بسبب دعوته وزلزلوا زلزالاً شديدًا وبلغت منهم القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنونا، ومع هذا أحبوه كل الحب .. عُرض صفوة شبابهم للسيوف المصلتة فكانت على رؤوسهم كأغصان الشجرة الوارفة.

وقدَّم رجالهم للمعركة فكانوا يأتون الموت كأنهم في نزهة أو في ليلة عيد؛ لأنهم أحبوه كل الحب .. يُرسل أحدهم برسالة ويعلم أنه لن يعود بعدها إلى الدنيا، فيؤدي رسالته على أحسن وجه. ويُبعث الواحد منهم في مهمة ويعلم أنها النهاية فيذهب راضيًا؛ لأنهم أحبوه كل الحب.

ولكن لماذا أحبوه وسعدوا برسالته واطمأنوا لمنهجه واستبشروا بقدومه ونسوا

كل ألم وكل مشقة وجهد ومعاناة من أجل اتباعه؟

إنهم رأوا فيه كل معاني الخير والفرح وكل علامات البر والحق، لقد كان آية للسائلين في معالي الأمور، لقد أبرد عليل قلوبهم بحنانه وأثلج صدورهم بحديثه، وأفعم أرواحهم برسالته، لقد سكب في قلوبهم الرضا فما حسبوا للآلام في سبيل دعوته حسابًا، وأفاض على نفوسهم من اليقين ما أنساهم كل جرح وكدر وتنغيص، صقل ضمائرهم بهداه وأنار بصائرهم بسناه.

ألقى عن كواهلهم أصار الجاهلية وحط عن ظهورهم أوزار الوثنية، وخلع من رقابهم تبعات الشرك والضلال، وأطفأ من أرواحهم نار الحقد والعداوة، وصب على المشاعر ماء اليقين فهدأت نفوسهم وسكنت أبدانهم واطمأنت قلوبهم وبردت أعصابهم. وجدوا لذة العيش معه والأنس في قربه والرضا في رحابه والأمن في اتباعه والنجاة في امتثال أمره والغنى في الاقتداء به ﷺ.

وكذلك لأن الله - عَزَّ وجَلَّ - قد جمع لنبيه الأسباب الموجبة للمحبة من كمال الخَلقِ والخُلق والإحسان على أمته والإنعام عليهم ورأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار، وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، ورحمة للعالمين، ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه، ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم.

فأي إحسان أجلُ قدرًا وأعظم خطرًا من إحسانه إلى جميع المؤمنين، وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين، إذ كان ذريعتهم إلى الهداية، ومنقذهم من العماية، وداعيهم إلى الفلاح والكرامة، ووسيلتهم إلى ربهم، وشفيعهم والمتكلم عنهم، والشاهد لهم والموجبَ لهم البقاء الدائم والنعيم السَّرمد. فقد استبان لك أنه ﷺ مستوجبٌ للمحبة الحقيقية شرعًا لإفاضته

الإحسان وعمومه الإجمال، فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفًا أو استنقذه من هلكة أو مضرة - مدة التأذي بها قليل منقطع -، فكيف بمن منحه ما لا يبيد من النعيم، ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم. أليس هو أولى بالحب، وإذا كان يحب بالطبع مَلِكٌ لحسن سيرته أو حاكم لما يُؤثر من قِوام طريقته أو عالم بعيد الدار لما يُشاد من علمه أو كرم شيمته، فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال. أليس هو أحق بالحب وأولى بالميل.

فقد كان بعض الصحابة لا يصرف بصره عنه محبة فيه ﷺ، فقد أُسرت قلوبهم بحبه ﷺ، فقد كان مجبولاً ﷺ على مكارم الأخلاق ومكارم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنها خير أخلاق، فإنه ﷺ كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثًا وأجودهم وأسخاهم وأشدهم إحتمالاً، وأعظمهم عفوًا ومغفرة، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا؛ كما روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوارة: «محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن اقبضه حتى اقيم به الملة العوجاء وافتح به اعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا حتى يقولوا لا إله إلا الله»[1].

وأرحم الخلق وأرأفهم بهم وأعظم الخلق نفعًا لهم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيرًا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل، وأشدهم تواضعًا، وأعظمهم

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٤٨٣٨).

إيثاراً على نفسه، وأشد الخلق ذبًا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعًا عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر الله به وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه .. فهو أحق بقول القائل:

برد على الأدنى ومرحمة ❖ وعلى الأعادي مازن جلدُ

- وهو كما قال فيه علي رضي الله عنه: **«كان رسول الله ﷺ أجود الناس صدراً، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ»**[1].

فقوله: **«كان أجود الناس صدراً»**: أراد به بر الصدر وكثرة خيره وإن الخير يتفجر منه تفجيراً، وإنه منطو علي كل خلق جميل وكل خير كما قال بعض أهل العلم: «ليس في الدنيا كلها محل كان أكثر خيراً من صدر رسول الله ﷺ، قد جُمع الخير بحذافيره وأودع في صدره ﷺ».

وقوله: **«أصدق الناس لهجة»**: هذا مما أقر له به أعداؤه المحاربون، ولم يجرب عليه أحد من أعدائه كذبة واحدة قط، دع شهادة أوليائه كلهم له، فقد حاربه أهل الأرض بأنواع المحاربات مشركوهم وأهل الكتاب منهم وليس أحد منهم يومًا من الدهر طعن فيه بكذبة واحدة صغير ولا كبيرة.

قال المسور بن مخرمة: «قلت لأبي جهل - وكان خالي -: يا خال، هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول مقالته؟ فقال: والله يا ابن أختي لقد كان محمد وهو شاب يُدعى فينا الأمين، فلما خطَّه الشيب لم يكن ليكذب، قلت: يا خال، فلم لا تتبعونه؟ فقال: يا ابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف

---

(١) «شمائل الترمذي» (٧).

فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، فلما تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي، فمتى نأتيهم بهذه». وقال تعالى يسليه ويهون عليه قول أعدائه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام: ٣٣-٣٤).

وقوله: «ألينهم عريكة»: يعني أنه سهل قريب من الناس مجيب لدعوة من دعاه قاض لحاجة من استقضاه، جابر لقلب من سأله لا يحرمه ولا يرده خائبًا إذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه وتابعهم فيه، وإن عزم على أمر لم يستبد دونهم بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم.

وقوله: «أكرمهم عشرة»: يعني أنه لم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة وأحسنها وأكرمها، فكان لا يعبس في وجهه ولا يغلظ ولا يؤاخذه بما يصدر من جفوة ونحوها، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان ويحتمل غاية الاحتمال، فكانت عشرته لهم إحتمال أذاهم جملة لا يعاقب أحدًا منهم ولا يلومه ولا يبادئه بما يكره.

قال الحسين رضي الله عنه: سألت أبي عن سيرة النبي عليه السلام في جلسائه فقال: «كان النبي ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤايس منه راجيه ولا يجيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده».

ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجون منه، ويصبر للغريب على الجفوة من منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه

ليستجلبونهم ويقول إذا رأيتم طالب حـاجة يطلبها فأردفوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقعطه بنهي أو قيام.

وقوله: «من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه»: فقـد وصفه بصـفتين خص الله بهما أهل الصدق والإخلاص، وهمـا الإجلال والمحبة، فكان قد أُلقي عليه هيبة منه ومحبة، فـكان كل من يراه يهابه ويجله ويملأ قلبه تعظيمًا وإجلالاً وإن كان عـدوًا له، فإذا خالطه وعـاشره كان أحب إلـيه من كل مخلوق، فـهو المجل المُعظم المحبوب المُكرم، وهذا غاية كمال المحـبة أن تُقرن بالتعظيم والهيبة، فالمحبـة بلا تعظيم ولاهيبة ناقصـة، والتعظيم والهيبـة من غير محبـة كما يكون للظالم القادر نقص أيضًـا، والكمال أن تجتمع المحبـة والود والتعظيم والإجلال، وهذا لا يوجد إلا إذا كـان في المحبـوب صفات الـكمال التي يستـحق أن يُعظم ويُحب لأجلها.

ولما كان الله ـ سـبحانه وتعالى ـ أحق بـهذا من كل أحد كان المسـتحق لأن يُعظم ويُكبر ويُهاب ويُحب ويود بكل جزء من أجزاء القلب ولا يجعل له شريك في ذلك، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ـ سبـحانه وتعالى ـ أن يُسوي بينه وبين غيره في هذا الحب والتـعظيم .. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥)، فأخبر سبحانه أن من أحب شيـئًا غيـر الله مثل حبـه كان قد اتخذه نـدًا، وقال أهل النار في النار لمعبودهم: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٩٧-٩٨)، ولم تكن تسويتهم لهم بالله في كونهم خلقـوا السموات والأرض أو خلقوهم أو خلقـوا آباءهم، وإنما سواهم برب العـالمين في الحب لهم كـما يُحب الله، فـإن حقيقة العبـادة هي الحب والذل وهذا هو الإجلال والإكرام الذي وصف به نفسه في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٧٨).

وأصح الأقوال في ذلك أن الجلال هو التعظيم والإكرام هو الحب وهو سر قول العبد «لا إله إلا الله والله أكبر»، وكما في مسند الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الظوا بيا ذا الجلال والإكرام»[1]. أي الزموها والهجوا بها.

وكل محبة وتعظيم للبشر فإنها تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبتنا للنبي ﷺ وتعظيمه فهي من تمام محبة الله وتعظيمه، و كذلك محبة الصحابة وأهل العلم والصلاح، فهي من تمام محبتنا لله ورسوله . . والمقصود أن النبي ﷺ ألقي عليه من المهابة والمحبة ولكل مؤمن مخلص حظ من ذلك؛ قال الحسن البصري - رحمه الله -: «إن المؤمن رُزق حلاوة ومهابة»، يعني يُحب ويُهاب، ألبسه الله سبحانه من ثوب الإيمان المقتضي لذلك، ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر ولا أهيب وأجل في صدره من رسول الله ﷺ في صدر أصحابه رضي الله عنهم.

✿ قال عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد إسلامه: إنه لم يكن شخص أبغض إليَّ منه، فلما أسلمت لم يكن شخص أحبُ إليه منه ولا أجل في عينيه منه. قال: ولو سئلت أن أصفه لكم لما أطقت لأني لم أكن أملأ عين منه إجلالاً له».

✿ وقال عروة بن مسعود لقريش: «يا قوم، والله لقد وفدت على كسرى وقيصر والملوك فما رأيت ملكًا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا ﷺ، ما يحدون النظر إليه تعظيمًا له، وما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فيدلك بها وجهه وصدره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه»، فكان ﷺ من يراه مفاجأة وبغتة قبل الاختلاط به هابه لسكونه ووقاره وما أسبع الله عليه من الكمال، ومن خالطه يقول إنه أحب الناس إليه مما يرى من

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، وأحمد (٤/ ١٧٧).

لطفه به وقربه منه وإقباله عليه واهتمامه بأمره ونصيحته له وبذل إحسانه إليه واحتمال جفوته، فأي عشرة كانت، أو تكون أكرم من هذه العشرة، فلما كان رسول الله ﷺ مشتملاً على كل ما يقتضي محبته ﷺ أسرت القلوب بحبه.

أخي الحبيب .. والله لو ظللت أتحدث عن مقتضيات ودواعي محبة الصحابة للنبي ﷺ لمااستطعت، ولكن عليك أن تعلم أخي الحبيب أن النبي ﷺ كان قرآنًا متحركًا بين الناس. ولقد جمع الله - جل وعلا - في شخص الحبيب أشخاص كثيرة ومتعددة في آن واحد، فهو رسول من عند الله يتلقى الوحي من السماء ليربط السماء بالأرض بأعظم رباط وأشرف صلة، وهو رجل سياسة من طراز فريد يقيم أمة ودولة من فتات متناثرة، فإذا هي بناء شامخ لا يطاوله بناء، تذل الأكاسرة وتهين القياصرة وتغير مجرى التاريخ في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئًا، وهو رجل حرب من طراز أوحد، وهو أب وزوج ورب أسرة كبيرة تحتاج إلى كثير من النفقات، من نفقات الفكر والشعور والتربية والنصح، فضلاً عن نفقات المال.

وهو إنساني من طراز فريد كأنه ما خلق إلا ليزيل الدموع كأنه ما خلق إلا ليمسح الآلام عن القلوب يمنح الناس وقته وفكره وعقله وماله ونصحه وروحه وشعوره؛ كأنه ﷺ ما خلق إلا ليُسعد الناس في الدنيا قبل الآخرة، وأخيرًا أخي الحبيب أتركك مع هذين المثالين لنزداد حبًا فوق الحب للنبي ﷺ.

● كان عمير بن وهب من شياطين قريش، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه بمكة، فلما أصيب أصحاب بدر جلس مع صفوان بن أمية في الحجر فقال صفوان: قَبُح لك العيش بعد قتلى بدر، قال: أجل والله ما في

العيش خير بعدهم، ولولا دين عليَّ لا أجد له قضاء وعيالاً لا أدع لهم شيئًا لرحلت إلى محمد فقتلته إن ملأت عيني منه، فإن لي عنده علة أعتل بها أقول قدمت على أبني هذا الأسير. ففرح صفوان بقوله وقال: عليَّ دينك وعيالك أسوة عيالي في النفقة لا يسعن شيء ويعجز عنهم. فحمله صفوان وجهزه وأمر بسيف عمير فصُقل وسُم وقال عمير لصفوان: اكتمني أيامًا.

فأقبل عمير حتى قدم المدينة فنزل بباب المسجد وعقل راحلته وأخذ السيف فعمد لرسول الله ﷺ، فنظر إليه عمر بن الخطاب وهو في نفر من الأنصار يتحدثون عن وقعة بدر ويذكرون نعمة الله - عَزَّ وجَلَّ - فيها، فلما رآه عمر معه السيف فزع وقال: «عندكم الكلب هذا عدو الله الذي حرش بيننا يوم بدر وحَزَرَنا للقوم»، ثم قام عمر فدخل على رسول الله ﷺ فقال: «هذا عمير بن وهب قد دخل المسجد متقلداً السيف وهو الفاجر الغادر، يا نبي الله لا تأمنه على شيء»، فقال رسول الله ﷺ: «ادخله عليَّ»، فخرج عمر فأمر أصحابه أن يدخلوا على رسول الله ﷺ ثم يحترسوا من عمير إذا دخل عليهم، فأقبل عمر وعمير حتى دخلا على رسول الله ﷺ ومع عمير سيفه، فقال رسول الله ﷺ: «تأخر عنه»، فلما دنا منه عمير قال: أنعموا صباحًا، وهي تحية أهل الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «قد أكرمنا الله عن تحيتك تحية أهل الجنة؛ وهي السلام»، فقال عمير: إن عهدك بها لحديث، فقال رسول الله ﷺ: «قد أبدلنا الله خيراً منها، فما أقدمك يا عمير»، قال: قدمت على أسير من عندكم، ففادونا في أسرائنا فإنكم العشيرة والأهل، فقال رسول الله ﷺ: «فما بال السيف في عنقك؟»، قال عمير: قبَّحها الله من سيوف، فهل أغنت عنا شيئًا، إنما نسيته في عنقي حين نزلت، ولعمري إن لي بها عبرة.

فقال رسول الله ﷺ: «اصدقني ما أقدمك؟»، قال: ما قدمت إلا في أسيري، قال رسول الله ﷺ: «فماذا شرطت لصفوان بن أمية في الحجر؟!»، ففزع عمير وقال: ماذا شرطت له؟ قال: «تحملت له بقتلي على أن يعول بنيك ويقضي دينك، والله تعالى حائل بينك وبين ذلك»، قال عمير: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، كنا يا رسول الله نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء، وإن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر، كما قال رسول الله ﷺ لم يطَّلع عليه أحد غيري وغيره، فأخبرك الله - عَزَّ وجَلَّ - به، فآمنت بالله ورسوله والحمد لله الذي ساقني هذا المساق، ففرح به المسلمون حين هداه الله تعالى، وقال عمر رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده، لخنزير كان أحب إليَّ من عمير حين طلع، ولهو اليوم أحب إليَّ من بعض ولدي»، وقال رسول الله ﷺ: «اجلس يا عمير نواسيك»، وقال لأصحابه: «علموا أخاكم القرآن»، وأطلق له رسول الله ﷺ أسيره . . . الحديث[1].

✿ عن عبد الله بن سلام أن زيد بن سعنة، وهو الحبر الكبير من أحبار اليهود، قال: ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين: الأولى - يسبق حلمه جهله، والثانية - لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا. يقول زيد ابن سعنة: فخرج رسول الله يومًا من الحجرات مع علي بن أبي طالب، وإذ برجل من الأعراب يقبل على النبي ﷺ ويقول: يا رسول الله، إن قومي في قرية بن فلان قد دخلوا في الإسلام، ولكنهم دخلوا في الإسلام طمعًا، فلقد أخبرتهم أنهم إن دخلوا في الإسلام أتاهم رزقهم رغدًا، وقد نزلت بهم اليوم شدة وقحط، فأخشى أن يخرجوا من الإسلام طمعًا

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٤٧).

كما دخلوا في الإسلام طمعًا، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلت يا رسول الله. فالتفت الحبيب المصطفى صاحب الخلق إلى علي بن أبي طالب وسأله: «هل عندنا شيء من المال؟»، فقال علي بن أبي طالب: «لا والله يا رسول الله، لقد نفذ المال كله»، يقول زيد بن سعنة: فدنوت من محمد ﷺ وقلت له: «يا محمد، هل تبيعني تمرًا معلومًا في حائط بني فلان إلى أجل معلوم؟»، فقال النبي ﷺ: «نعم، ابيعك تمرًا معلومًا إلى اجل معلوم، لكن لا تسمي حائط بني فلان»، فوافقت على ذلك وأعطيت النبي ثمانين مثقالاً من الذهب. يقول زيد بن سعنة: فأخذها النبي كلها وأعطاها لهذا الأعرابي وقال: «اذهب إلى قومك فاغنهم بهذا المال»، فانطلق الأعرابي بالمال كله.

ولم يمض غير قليل من الوقت ورسول الله ﷺ مع أبي بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه بعد أن صلى على جنازة على صاحب له، وأتى إلى جدار ليجلس إليه في ظله، فاقترب منه زيد بن سعنة ونظر إلى النبي بوجه غليظ وأخذ بقميص النبي ﷺ وردائه، وهز الحبر اليهودي رسول الله ﷺ هزًا عنيفًا وهو يقول له: «أدِّ ما عليك من حق ومن دين يا محمد، فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب إلا مُطلاً في أداء الحقوق وسداد الديون»، فالتفت إليه عمر بن الخطاب وعينه تدور وقال له: «يا عدو الله، اتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل برسول الله ﷺ ما ارى؟ والذي نفسي بيده، لولا اني اخشى فوته وغضبه لضربت راسك بسيفي هذا».

يقول زيد بن سعنة: وأنا أنظر إلى النبي ﷺ وإذا بالنبي ينظر إليَّ في سكون وهدوء، ثم التفت المصطفى إلى عمر بن الخطاب وقال له: «يا عمر، لقد كنت انا وهو في حاجة إلى غير ذلك، يا عمر، لقد كان من الواجب عليك ان تامرني بحسن الأداء وان تامره بحسن الطلب، يا عمر، خذه واعطه حقه وزده عشرين صاعًا من

تمر جزاء ما روعته».

يقول زيد بن سعنة: فأخذني عمر بن الخطاب وأعطاني حقي وزادني عشرين صاعًا من تمر، فقلت له: ما هذه الزيادة يا عمر؟ فقال: «**أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدها جزاء ما روعتك**»، فالتفت الحبر اليهودي إلى عمر وقال: «ألا تعرفني؟»، قال: «**لا**»، قال: «أنا زيد بن سعنة»، قال عمر: «**حبر اليهود؟**»، قال: نعم، فالتفت إليه عمر وقال: «**فما الذي حملك على أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلت؟ وعلى أن تفعل برسول الله ﷺ ما فعلت؟**»، فقال زيد: «يا ابن الخطاب، ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه، ولكنني لم أختبر فيه خصلتين من خصال النبوة»، فقال عمر: «**وما هما؟**»، قال حبر اليهود: «الأولى ـ يسبق حلمه جهله، والثانية ـ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا .. أما وقد عرفتهما اليوم في رسول الله، فأشهدك يا عمر أني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله ﷺ»[1].

وبعد أخي الحبيب، فلتردد معي للحبيب المصطفى ﷺ هذه الشهادة العظيمة من خالقه ـ جل وعلا ـ: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم: ٤).



(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٢٧٨)، وروى قصة إسلامه الطبراني، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» (٣/٦٠٤-٦٠٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

وجوب محبة النبي ﷺ

إن الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ افترض على عباده محبة رسوله ﷺ، وسد الطريق إلى جنته إلا من سلك خلف رسول الله ﷺ، وشرح له صدره ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره. وقام الصحابة الكرام بلوازم هذه المحبة لرسوله ﷺ، ففدوه بآبائهم وأمهاتهم وأبنائهم، وقاتلوا دونه ورفعوا رايته وأعزوا سنته ونصروا شريعته، وما فارق النبي ﷺ الدنيا حتى دانت جزيرة العرب بالإسلام، ورفرف علم التوحيد على أقطارها، وواصل أصحابه الكرام والتابعون لهم بإحسان المسيرة بعده ﷺ يفتحون البلاد وقلوب العباد بـ (لا إله إلا الله). وظهرت آيات الصدق والمحبة في أصحابه رضي الله عنهم وتابعيهم.

ومحبة الرسول ﷺ عقد من عقود الإيمان ولزوم سنته واتباع هديه علامة المحبة الصادقة لله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ ولرسوله ﷺ، كما أنه من أعظم أسباب محبة الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، قال الحسن: ادَّعى ناسٌ محبة الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ فابتلاهم بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران: ٣١).

قال الصحابة رضي الله عنهم: إنا نحب ربنا حبًا شديدًا، فأحب الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أن يجعل لحبه علامة، فأنزل الله هذه الآية، وتسمى آية الابتلاء، وقد دلت أدلة الكتاب والسنَّة على وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من محبة الآباء والأبناء والناس أجمعين. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤)، والله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ لا يتوعد أحدًا بمثل هذا الوعيد الشديد إلا على ترك واجب أو فعل محرم.

قال القاضي عياض: «فكفى بهذا حضًا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرّع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنه من ضل ولم يهده الله»[1].

وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، فهو ﷺ أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها . . عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»**[2].

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو من وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى كمن كان مستغرقًا في الشهوات محجوبًا في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذُكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وولده وماله ووالده ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة ويجد مخبر ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر؛ لما وقر في قلوبهم من محبته غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات ـ والله المستعان ـ»[3].

وقال ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**[4].

---

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ١٨).
(٢) متفق عليه: البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).
(٣) «فتح الباري» (١/ ٧٧).
(٤) متفق عليه: البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

قال البيضاوي ـ رحمه الله ـ: «وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانًا لكمال الإيمان؛ لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى وأنه لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن رسول الله ﷺ هوالذي يبين له مراد ربه . . اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه، فلا يحب إلا من يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله، وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق يقينًا، ويخيل إليه الموعود كالواقع فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأن العود إلى الكفر إلقاء في النار»[1].

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: **«يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي»**، فقال النبي ﷺ : **«لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»**، فقال له عمر: **«فإنه الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي»**، فقال النبي ﷺ : **«الآن يا عمر»**[2]. قال أهل العلم: «الآن» قد كمل إيمانك يا عمر. قال الخطابي: معناه أن تصدق في حبي حتى تفنى نفسك في طاعتي وتؤثر رضاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك. قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): قال الإمام الخطابي: «حب الإنسان لنفسه طبع، وحب الإنسان لغيره اختيار بتوسط الأسباب»، أي أنا أحبك لأسباب وأنت تحبني لأسباب، أما حبك لنفسك وحبي لنفسي فهذه جبلة وطبيعة. يقول: «وما طلب النبي ﷺ من عمر حب الطبع، بل ما أراد منه إلا حب الاختيار، إذ لا سبيل إلى قلب الطباع عما جُبلت عليه».

أراد النبي ﷺ أن يلفت نظر عمر ﷺ إلى أن الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ قد منَّ عليه فأنجاه من النار لما أرسل له المصطفى المختار ﷺ ، ولكن هناك فرق بين

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٧٨).

(٢) البخاري (٦٦٣٢)، وأحمد (٤/ ٢٣٣).

حب يدور على الاتباع وبين غلوٍ يدور على الابتداع، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»**[1].

قال الحافظ ابن حجر: الإطراء هو المدح بالباطل والكذب، فلا إطراء ولا غلو. والحق أن الغلو في رسول الله ﷺ قد بلغ عند بعض مدعي المحبة حدًا خطيرًا، فخلعوا على رسول الله ﷺ صفات ومنحوه خصائص الربوبية والألوهية، كهذا الذي جعل رسول الله ﷺ وحده ملاذه وملجأه إذا نزلت به الشدائد، فقال مخاطبًا المصطفى ﷺ:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ❖❖ سواك عند حدوث الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ❖❖ إذا الكريم تجلي باسم منتقم

فإن جودك الدنيا وضرتها ❖❖ ومن علومك علم اللوح والقلم[2]

ويقول آخر: «فشأن محمد ﷺ في جميع تصرفاته هو شأن الله تعالى، فليس لمحمد من محمد شيء، ولذلك كان نورًا ذاتيًا من عين ذات الله»[3].

وهذه الشطحات كثيرة جدًا ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونقول لهؤلاء بأن دعواكم جوفاء يعز عليها المعنى الصحيح، فأصحاب النبي ﷺ وهم أعلم الخلق بمراد الله - عَزَّ وجَلَّ - ورضوانه لم يبالغوا في مدح النبي ﷺ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، بل كان مدحهم للنبي ﷺ في إطار الكتاب والسنة لا يتعدى ذلك على الرغم من عظيم حبهم له ﷺ، فقد قدموه في الحب على النفس والأهل والمال والولد والناس أجمعين.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٤٥).

(٢) «ديوان البوصيري (ص٢٠٠).

(٣) «النعمات القدسية في شرح الصلوات المحمدية الإدريسية» (٩).

فهـذا المغيرة بن شـعبة يقف ليظلل على رأس الـنبي ﷺ من الشمس في صلح الحديبية، فجاء عروة بن مسعود الثقفي رسولاً من قِبل قريش للنبي ﷺ في الحـديبيـة، وجعل عـروة بن مسـعود يكلم النبي ﷺ وكلما كلمـه أخذ بلحيـته، والمغيرة بن شـعبة عند رأس النبي ﷺ ومـعه السيف وعليه المغـفر، فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال: «أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ»[1].

يبقى أن تعلم أن المغـيرة بن شعبة ابن أخي عـروة، هذا هو الحب الصادق، ولك أن تتخيل مشهد أبو دجانة في غزوة أحد وهو يترس على رسول الله ﷺ والنبل يقع عليه وهو لا يتـحرك. وتدبر مشهد طلحة وهـو يقاتل أمام النبي يمنة ويسرة وتترس مـع النبي بترس واحد وشُلت يده فلا يبـالي، المهم هو نجاة النبي ﷺ .. هذا هو الحب الصادق. وعليّ يوم أن نام في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة، وهو يعلم أنه إلى فناء، ولم لا، فليفنى علي وليبقى حامل لواء الدعوة ﷺ، هذا هو الحب الصادق. وهذه الصحابيـة الجليلة التي قُتل يوم أحد أبوها وأخوها وزوجـها، فقالت: كـيف فعل رسول الله ﷺ؟ فقـيل لها: هو على خيـر ما تحبين، فقـالت: دعوني أنظر إليه، فلمـا رأته قالت: كل مصيـبة دونك جلل يا رسول الله .. هذا هو الحب الصادق.

فنقول لدعـاة المحبة الفـارغة من المعاني: تبًـا لكم، فهؤلاء أصـحاب النبي ﷺ أفضل الخلق بعـد الأنبياء والمرسلين والذيـن فادوا النبي ﷺ بكل شيء لم يغالوا في النبي ﷺ ولم يخرجوه عن كونه بشر ﷺ، لعلمهم أنه هذا هو الحق الذي يرضي الله ورسوله.

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٢٧٣١-٢٧٣٢)، وأبو داود (١٧٥٤)، والنسائي (٢٧٧١).

* ورحم الله من قال:

من يدعي حب النبي ولم يفد ❁❁❁ من هديه فسفاهة وهراء

فالحب أولى شرطه وفروضه ❁❁❁ إن كان صادقًا طاعة ووفاء

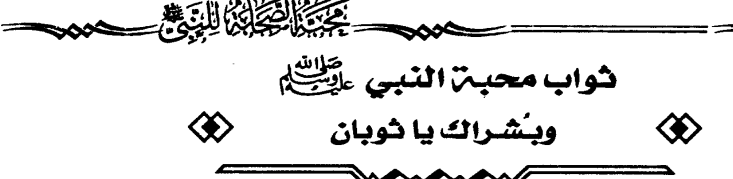
ومحبة النبي ﷺ على درجتين كما قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ:

إحداهما فرض: وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله، وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لابد منه ولا يتم الإيمان بدونه.

والدرجة الثانية فضل: وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة والإهتمام بمعرفة سيرته وأيامه، واهتزاز القلب من محبته وتعظيمه وتوقيره ومحبة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ورغبته في الآخرة[1].

---

(١) «استنشاق نعيم الأنس» (ص٣٤-٣٥).



ثواب محبة النبي ﷺ
وبُشراك يا ثوبان

قال القرطبي: كان ثوبان مولى رسول الله ﷺ شديد الحب له قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يُعرف في وجهه الحزن، فقال له النبي ﷺ: «ما غيَّر لونك؟»[1]، قال: «يا رسول الله، ما بي ضُر ولا وجع، غير أني إذا لم أراك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة، وأخاف أن لا أراك هناك، لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل لا أراك أبدًا»، فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩).

❁ رضي الله عن ثوبان، حاله مع رسول الله ﷺ كما قال الشاعر:

الحزن يحرقه والليل يقلقه ❖❖ والصبر يسكته والحب ينطقه
ويستر الحال عمن ليس يعذره ❖❖ وكيف يستره والدمع يسبقه

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «ما أعددت لها؟»، قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: «أنت مع من أحببت»[1]. وعن صفوان بن قدامة قال: هاجرت إلى النبي ﷺ فأتيته فقلت: يا رسول الله، ناولني يدك أبايعك، فناولني يده فقلت: يا رسول الله، إني أحبك، قال: «المرء مع من أحب»[2].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦١٦٨-٦١٦٩) عن عبد الله بن مسعود، (٦١٧٠) عن أبي موسى، ومسلم (٢٦٤٠) عن عبد الله بن مسعود.

وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ بيد حسن وحسين فقال: «من احبني واحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»[١].

وفي حديث آخر: كان رجل عند النبي ﷺ ينظر إليه لا يطرف، فقال: «ما بالك؟»[٢]، قال: بأبي أنت وأمي، أتمتع من النظر إليك، فإن كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله، فأنزل الله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ الآية.

عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ وهو محزون، فقال له النبي ﷺ: «يا فلان، مالي أراك محزونًا؟»[٣]، قال: يا نبي الله شيء فكرت فيه، قال: «ما هو؟»، قال: نحن نغدو عليك ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك، وغدًا تُرفع مع النبيين فلا نصل إليك، فلم يرد النبي ﷺ شيئًا، فأتاه جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ الآية، فبعث النبي ﷺ فبشره.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليَّ من نفسي وأحب إليَّ من أهلي وأحب إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ الآية[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٣٣)، عبد الله بن أحمد (١/ ٧٧).

(٢) ذكره القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ٢٠).

(٣) مرسل، رواه ابن جرير الطبري (٥/ ١٦٣).

(٤) حسن، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠): رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران وهو ثقة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني لأحبك حتى إن لأذكرك في المنزل فيشق ذلك علي، وأحب أن أكون معك في الدرجة، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ هذه الآية[1].

وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة: أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال: «المرء مع من احب»[2]. قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث.

وفي رواية عن أنس أنه قال: إني أحب رسول الله، وأحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وأرجو أن يبعثني الله معهم وإن لم أعمل كعملهم.

فثواب محبتك للنبي ﷺ أن تكون في معيته في الجنة، تنعم بصحبته، فبشراك ثم بشراك أيها المحب للحبيب ﷺ.

---

(١) رواه الطبراني (١٢/١٢٥٥٩)، وفيه عطاء بن السائب اختلط.

(٢) البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

أصـــول الوصـــول
إلى حـــب الرســـول ﷺ

لاشك أن حب النبي ﷺ من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص، وكلما إزداد إيمان العبد إزداد حبه لرسـول الله ﷺ ، ولذا كان الصحابة ﷺ أبر الأمة قلوبًا وهم أوفر الناس من هذه المحبة، فكانت محبـتهم له ﷺ أكثر من محبة الآباء والأبناء والزوجات والعشيـرة والأموال، ففدوه ﷺ بالأبناء والآباء، فكان أبو بكر ﷺ يكثـر من قوله: «نفـديك بآبائنا وأمـهـاتنا يا رسـول الله»، وذلك لتوفـير أسباب المحبـة عندهم، فليكن العبد حريص على تحصـيل الأسباب التي تصل به في النهاية إلى حب النبي ﷺ . . ومن أهمها:

الأصل الأول
محبة الله ـ عز وجل ـ

لأن محبة النبي ﷺ من لوازم مـحبة الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، وكلما ازداد حب العبـد لله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ ازداد كذلـك حبه لرسـول الله ﷺ ، ومحبـة الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ هي حياة القلوب وغذاء الأرواح، وليـس للقلب لذة ولا فلاح ولا حياة إلا بها، وإذا فـقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فـقدت نورها والأذن إذا فقدت سـمعها، بل فسـاد القلب إذا خلا من محبة فـاطره وبارئه وإلهه الحق أعظم من فسـاد البدن إذا خلا من الـروح. وهذا الأمر لا يصدق به إلا من فـيه حياة، وما لجرح بميت إيلام.

وإذا كان النبي ﷺ أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها، أفليس الرب ـ

جل جلاله - أولى بمحبته وعبادته من أنفسهم وكل ما منه إلى عبده يدعوه إلى محبته مما يحب العبد ويكره، فعطاؤه ومنعه ومعافاته وابتلاؤه وقبضه وبسطه وعدله وفضله وإماتته وإحياؤه وبره ورحمته وإحسانه وستره وعفوه وحلمه وصبره على عبده وإجابته لدعائه وكشف كربه وإغاثة لهفته وتفريج كربته من غير حاجة منه إليه، بل مع غناه التام عنه من جميع الوجوه، كل ذلك داعٍ للقلوب إلى محبته، فلو أن مخلوق فعل بمخلوق أدنى شيء من ذلك لم يملك قلبه عن محبته، فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه من يحسن إليه على الدوام بعدد الأنفاس مع إساءته، فخيره إليه نازل وشره إليه صاعد، يتحبب إليه بنعمه وهو غنيٌ عنه، والعبد يتبغض إليه بالمعاصي وهو فقير إليه، فلا إحسانه وبره وإنعامه عليه يصده عن معصيته ولا معصية العبد ولؤمه يقطع إحسان ربه عنه.

وأيضًا فكل من تحبه من الخلق ويحبك إنما يريدك لنفسه وغرضه منه، والله سبحانه يريدك لك، وأيضًا فكل من تعامله من الخلق إن لم يربح عليك لم يعاملك، ولابد له من نوع من أنواع الربح. والرب - تبارك وتعالى - يعاملك لتربح عليه أعظم الربح وأعلاه، فالدرهم بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بواحدة وهي أسرع شيء محوًا.

وأيضًا فهو سبحانه خلقك لنفسه وخلق كل شيء لك في الدنيا والآخرة، فمن أولى منه سبحانه باستفراغ الوسع في محبته وبذل الجهد في مرضاته، وأيضًا فمطالبك بل مطالب الخلق كلهم جميعًا لديه وهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، أعطى عبده قبل أن يسأله فوق ما يأمله، يشكر القليل من العمل وينميه ويغفر الكثير من الذلل ويمحوه، ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩)، لا يشغله سمع عن سمع، ولا يغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، بل يحب الملحين في الدعاء ويحب أن يسأل ويغضب إذا

لم يسأل، يستحي من عبده حيث لا يستحي العبد منه، ويستره حيث لا يستر نفسه ويرحمه حيث لا يرحم نفسه، دعاه بنعمه وإحسانه وأياديه إلى كرامته ورضوانه، فأبى فأرسل رسله في طلبه وبعث معهم عهده، ثم نزل إليه سبحانه بنفسه وقال: «من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».

وكيف لا يحب القلب من لا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يجيب الدعوات ويقبل العثرات ويغفر الخطيئات، ويستر العورات ويكشف الكربات، ويغيث اللهفات وينيل الطلبات سواه، فهو أحق من ذُكر وأحق من شُكر وأحق من عُبد وأحق من حُمد، وأرأف من ملك وأنصر من ابتغي وأجود من سُئل وأوسع من أعطى وأرحم من استرحم وأكرم من قُصد وأعز من التجئ إليه. أخذ بالنواصي وكتب الآثار ونسخ الآجال، فالقلوب له مفضية والسر عنده علانية، والغيب لديه مكشوف وكل أحد لديه ملهوف، عنت الوجوه لنور وجهه وأشرقت لنور وجهه الظلمات، واستنارت له الأرض والسموات، وصلحت عليه جميع المخلوقات، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه[1].

فينبغي على العبد أن يسعى جاهدًا لإدراك محبته سبحانه والتي تنشأ تارةً من معرفته وكمال معرفته تحصل من معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله الباهرة والتفكر في مصنوعاته وما فيها من الإتقان والحكم والعجائب، فإن ذلك كله يدل على كماله وقدرته وحكمته وعلمه ورحمته. وتارةً تنشأ من مطالعة النعم كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله»[2].

(١) «البحر الرائق في الزهد والرقائق» لفضيلة الشيخ/ أحمد فريد.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢١١).

وقال بعض السلف: «من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه، فإن المحبة تقتضي الطاعة».

كما قال بعض العارفين: المحبة الموافقة في جميع الأحوال، ثم أنشد:

ولو قلت لي مت متُ سماعًا وطاعةً *** وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحبًا

ومحبة الله على درجتين:

الدرجة الأولى- وهي المحبة المقتضية لفعل أوامره الواجبة والانتهاء عن زواجره المحرمة والصبر على مقدوراته المؤلمة، فهذا القدرُ لابد منه في محبة الله، ومن لم تكن محبته على هذا الوجه فهو كاذب في دعوى محبة الله، كما قال بعض العارفين: «من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده فهو كاذب»، فمن وقع في ارتكاب شيء من المحرمات أو أخل بشيء من فعل الواجبات فلتقصيره في محبة الله، حيث قدم محبة نفسه وهواه على محبة الله، فإن محبة الله لو كملت لمنعت من الوقوع فيما يكرهه، وإنما يحصل الوقوع فيما يكرهه الله لنقص محبته الواجبة في القلوب وتقديم هوى النفس على محبته، وبذلك ينقص الإيمان، كما قال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**».

الدرجة الثانية- أن ترتقي المحبة من ذلك إلى التقرب بنوافل الطاعات والإنكفاف عن دقائق الشبهات والمكروهات والرضا بالأقضية المؤلمات .. كما قال عامر بن عبد قيس: «أحببت الله حبًا هوَّن عليَّ كل مصيبة ورضاني بكل بلية، فما أبالي مع حبي إياه على ما أصبحت ولا على ما أمسيت».

وقال عمر بن عبد العزيز: «أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر»، ولما مات ولده الصالح قال: «إن الله أحب قبضه، وأعوذ بالله أن تكون لي محبة تخالف محبة الله».

وقال بعض التابعين في مرضه: «أحَبُّه إليَّ أحبه إليه - سبحانه وتعالى -».

الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى :

يقول ابن القيم: الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة:

أحدها ـ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أُريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني ـ التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث ـ دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع ـ إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

الخامس ـ مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة، ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس ـ مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

السابع ـ وهو من أعجبها، إنكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن ـ الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بآداب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع ـ مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر ـ مباعدة كل سبب يحول بينك وبين الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ.

❁ فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة، وبالله التوفيق[1].

الأصل الثاني
قراءة القرآن في المصحف

قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله؛ فليقرأ في المصحف»[2]، القرآن هو أحسن الحديث وهو الطيب من القول مزامير الأنس من حضرة القدس بألحان التوحيد في رياض التمجيد، وهو كتاب الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (فصلت: ٤٤)، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٥)، وقال ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٧).

(٢) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٠٩)، وصححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في «صحيح الجامع» (٦٢٨٩)، و«الصحيحة» (٢٣٤٢).

وعن النبي ﷺ قال: «اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[1].

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار»[2].

وعن عقبة بن عامر قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم»، فقلنا: يا رسول الله، كلنا يحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إى المسجد فيعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله - عَزَّ وجَلَّ - خير له من ناقتين وثلاث خير من ثلاث وأربع خير من أربع ومن أعدادهن من الإبل»[3].

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به؛ ألبس والده يوم القيامة تاجاً من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بِمَ كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»[4].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»[5].

قال أبو سليمان الخطابي في (معالم السنن): جاء في الأثر أن عدد آيات القرآن على قدر درج الجنة، فيقال للقارئ ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان (١٢٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤٣).

(٣) «صحيح مسلم» (٨٠٣).

(٤) حسن بشواهده: رواه الحاكم (١/٥٦٨) وله شاهد ذكره الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٨٢٩).

(٥) حسن: أبو داود (١٤٦٤)، وابن ماجة (٣٧٨)، والترمذي (٢٩١٤).

من آيات القرآن، فمن استوفى جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءًا منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَجئ صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب، حَلِّه، فيلبس حُلة الكرامة، ثم يقول: يا رب، زده، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب، ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق، ويزداد بكل آية حسنة»[1].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: يا ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل»[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله أهلين من الناس»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم الله وخاصته»[3].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[4].

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٩١٥)، والحاكم (١/ ٥٥٢)، وحسنه الشيخ الألباني - رحمه الله - في «صحيح الترمذي» (٢٣٢٨).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٠٢٦).

(٣) صحيح: رواه النسائي في «الكبرى» (٨٠٣١)، وابن ماجة (٢١٥) وإسناده صحيح.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٩١٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢١٣٧).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسـول الله، أوصني، قال: «عليك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله»، قلت: يا رسـول الله، زدني، قـال: «عليك بتـلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء»[١].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترُجَّة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب، ومثل المنافق - وفي رواية -: الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مُر، ومثل المنافق - وفي رواية -: الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»[٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «من حـافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يُكتب من الغافلين، ومن قرأ في ليلة مائة آية كُتب من القانتين»[٣].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين».

وعن النبي ﷺ: «من عَلَّم آية من كتاب الله كان له ثوابها ما تليت»[٤].

والأحاديث في فضل القرآن وفضل قارئه والعامل به كـثيرة، وقال عثمان بن عفـان ذو النورين: «لو طهـرت قلوبكم مـا شبـعتم من كلام ربكم»، ونُقل عن الإمام أحمد - رحمه الله - أنه قال: «رأيت الله - عزَّ وجَلَّ - في المنام، فقلت: يا رب، ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ قال: بكلامي يا أحمد، قال: قلت: يا رب بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم».

---

(١) حسن بشواهده: رواه ابن حبان (٣٦٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

(٣) صحيح: راه ابن خزيمة (٢/ ٢١٨٠)، والحاكم (١/ ٣٠٨).

(٤) صحيح: ذكره الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٣٣٥).

الأصـــل الثالـــث

الصـــــلاة على النبي ﷺ

فالصلاة علـى النبيﷺ سبب لدوام محبـته وزيادتها وتضاعـفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به؛ لأن العبـد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضـاره في قلبه واستحضار محـاسنه ومعانيه الجالبة لحبـه تضاعف حبه له وتزايد شوقـه إليه واستـولى على جميع قلبـه، وإذا أعرض عن ذكره وإحـضاره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حـبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه، ولا أقـر لقلبه من ذكره وإحضار محاسـنه، فإذا قوي هذا في قلبه جـرى لسانه بمدحـه والثناء عليـه وذكر مـحاسنـه، وتكون زيادة ذلك ونقصـانه بحسب زيادة الحب، ونقصانه والحس شاهد بذلك.

واعلموا عباد الله: أن الله ـ تبارك وتعـالى ـ لطف بعبـاده المؤمنين وأمرهم بالصلاة على سيد المرسلين ليستنقـذهم بها من العذاب الدائم المهين، فصلى عليه ربنا تشريفًا وتكريمًا، وصلت عليه ملائكته تفضيلاً وتعظيمًا. وأمر عباده أن يصلوا عليه ليبـيح لهم من الجنة مقامًا كريمًا، فـقال من لم يزل سميعًـا عليمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، فاجتهدوا بنا يا معاشر الإسلام في الصلاة والسلام على محمد خير الأنامﷺ، فعسى أن يشفعه فينا يوم تشقق السماء بالغمام.

معنى الصلاة على النبي ﷺ:

فمعنى «اللهم صلي على محمد»: أي اللهم أثني عليه في الملأ الأعلى، ومعنى «أثني عليه» أي أذكره بالصفـات الحميدة وأذكره عند الملائكة حتى تزداد مـحبتهم له ويزداد ثوابهم بذلك، هذا معنى «اللهم صلي على محمد».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله وملائكته يباركون على النبي، وقيل: إن الله يترحم على النبي وملائكتــه يدعون له. قال المبرد: وأصل الصلاة الـترحم، فهي من الله رحمة، ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحـمة، وقد ورد في الحديث في صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة: «اللهم اغفر له اللهم ارحمه»، فهذا دعاء.

وتأمل أخي الحبـيب باقي آية الأمر بالصــلاة على النبي ﷺ من خبـر وأمر وتأكيد: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، هذا خبر أخبرنا الله بذلك حثًا لنا على الصلاة والسلام عليه، ﴿اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، كل الملائكة في كل السمـوات والأرض يصلون على النبي، والملائكة عالم الغيب من مخلوقات الله لا يحصـيهم إلا الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ. فالبيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك كل يوم ثم لا يعودون إليه، يعني يجيء ملائكة غيرهم، إذن من الذي يحصيهم؟ ما يحصيهم إلا الله.

وفي الحديث عن النبي ﷺ : «اطت السماء، وحُق لها ان تئط»[1]، والأطيط: هو أصوات الإبل، ولا يصر إليه إلا إذا كان عليه حـمل ثقيل، تسمع له صرخة، ويقول: «وحُق لها ان تئط»، ما من موضع أربعة أصـابع إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد، والسماء ليست كالأرض، السماء أوسع بكثير بكثير من الأرض، انظر الآن بعدها الشاسع وهي على الأرض كالكرة، فتكون دائرتها واسعة عظيمة والسماء الثـانية أوسع والثالثة أوسع، وهكذا كل سمـاء أوسع من التي قبلها .. إذًا، فهل نستطيع أن نحصي الملائكة؟ بالتأكيد لا نستطيع، فإذا كنا لا نستطيع أن نحصي الملائكة فهل نستطيع أن نحصي صلاتهم عليه ﷺ ، فيكون النفي أشد تأكيدًا.

(١) صحيح: ذكره الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٢٠)، و«الصحيحة» (٨٥٢).

انظر إلى هذا الفضل الذي أعطاه ربنا لنبينا ﷺ، فالله أراد منا أن نتشجع وتعلو همتنا بهذا الخبر في الصلاة على النبي ﷺ، ولذا خاطبنا بعده بقوله - جل وعلا -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أي بمقتضى إيمانكم صلوا عليه؛ لأن الإيمان هو الذي يحمل صاحبه على امتثال الأمر، أي ادعوا الله أن يثني عليه في الملأ الأعلى، ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، قال أبو بكر بن بُكير: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ فأمر الله أصحابه أن يُسلموا عليه، وكذلك من بعدهم أُمروا أت يُسلموا على النبي ﷺ عند حضورهم قبره وعند ذكره.

وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه:

إحداها - السلامة لك ومعك.

الثاني - أي السلام على حفظك ورعايتك مُتولٍ له وكفيل به، ويكون هنا السلام اسم الله.

الثالث - أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

وقال الشيخ ابن العثيمين - رحمه الله -: أي ادعوا الله أن يسلمه في حياته من الآفات الجسدية والمعنوية وبعد موته من الآفات المعنوية، بمعنى أن تسلم شريعته من أن يقضي عليها قاضٍ أو ينسخها ناسخ، وكذلك الجسد؛ لأنه ربما يتعدى عليه بعد موته في قبره.

وقال ابن كثير - رحمه الله -: المقصود من هذه الآية أن الله - سبحانه وتعالى - أخبرعباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه في الملأ الأعلى عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه فيجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا.

حكم الصلاة على النبي ﷺ :

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة، غير محدد بوقت؛ لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحَمْلِ الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه. وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب، وادعى فيه الإجماع، ولعله فيما زاد على مرة، والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة، وما عدا ذلك فمندوب مُرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله.

وقال القاضي أبو بكر بن بُكير: افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليمًا، ولم يجعل لذلك وقت معلوم، فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها.

وقال الشيخ ابن العثيمين ـ رحمه الله ـ: الصحيح أنها تجب بأسباب، وإلا فالأصل أنها مستحبة.

فضل الصلاة على النبي ﷺ :

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو ساجد، فأطال السجود، قال: أتاني جبريل قال: **«من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله شكرًا»**[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرًا»**[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٩١)، والحاكم (١/ ٥٥٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجه، وقال الألباني: صحيح لطرقه وشواهده.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤٠٨)، وأبو داود (١٥٣٠)، والترمذي (٤٨٩)، والنسائي (١٢٩٦).

وعن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي قال: قال رسول الله ﷺ: «اتاني آتٍ من ربي فقال: ما من عبدٍ يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشراً»، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، أجعل نصف دعائي لك؟ قال: «إن شئت»، قال ألا أجعل ثلث دعائي؟، قال: «إن شئت»، قال: ألا أجعل دعائي كله؟، قال: «إذن يكفيك الله همُّ الدنيا وهم الآخرة»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ، ورغم انف رجل ادرك ابويه عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة، ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له»[2].

وعن علي بن الحسين قال: أخبرني أبي عن جدي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ وسلموا حيثما كنتم، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم»[3]. المعنى: أي لا تجعلوا القبر عيدًا تكرمونه بالمجيء إليه كل سنة مرة أو مرتين، وفيه دليل على تحريم شد الرحل لزيارة النبي ﷺ، ولكن الرحل يكون من أجل الصلاة في مسجده فإنها تعدل ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام.

وعند عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام»[4].

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي عليَّ»[5].

---

(١) رواه الجهضمي (٢٨-٢٩)، وقال الألباني: هذا مرسل صحيح الإسناد، ويشهد له ما بعده.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٤)، والحاكم (١/ ٥٤٩)، وقال الألباني: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٧)، وقال الشيخ الألباني: صحيح بطرقه وشواهده.

(٤) صحيح، أخرجه النسائي (١٢٨٢)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٩٢٤).

(٥)رواه الترمذي (٣٦١٤) كما في «تحفة الأشراف»، وقال الألباني: مرسل صحيح.

وقال ﷺ: «البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل عليّ»[(١)].

وعن محمد بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذكرت عنده فلم يصلي عليّ خطئ طريق الجنة»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيهم ﷺ؛ إلا كان مجلسهم عليهم ترة يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم وإن شاء أخذهم»[(٣)].

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من افضل ايامكم يوم الجمعة، فاكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ»، فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (بُليت)، قال: «إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من احد يُسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام»[(٥)].

وعن أبي بردة بن نيار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ من امتى صلاة مخلصًا من قلبه؛ صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات»[(٦)].

---

(١) صحيح: انظر «صحيح سنن الترمذي» (٢٨١١).

(٢) رواه الجهضمي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ»، وقال الألباني: مرسل جيد.

(٣) صحيح: ذكره الألباني في «الصحيحة» (٧٩).

(٤) «صحيح الجامع» (٢٢١٢)، و«صحيح أبي داود» (٩٢٥).

(٥) «صحيح الجامع» (٥٦٧٩)، و«صحيح أبي داود» (١٧٩٥).

(٦) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (١٢٣٠).

وعن عبد الله بن عـمرو رضي الله عنهما قال: «من صلى على النبي ﷺ واحدة؛ صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة»[(١)].

وعن عامر بن ربيـعة عن أبيه رضي الله عنه قال: سـمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول: «من صلى عليَّ صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى عليَّ، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر»[(٢)].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «الصلاة على النبي ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد للنار، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب».

وعن عبد الله بن مـسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة»[(٣)].

وقد ورد في فضل الصلاة على النبي ﷺ أحاديث كثيرة، ذكرنا هنا بعضًا منها، وقـد استدل الحافظ ابنُ حـجر في (الفتح) على فـضيلتها من جـهة ورود الأمر بها من النبي ﷺ واعتناء الصحابة بالسؤال عن كيفيتها.

كيفية الصلاة على النبي ﷺ:

أفـضل كـيفـيـات الصـلاة على النبي ﷺ هي التي علمـهـا النبي ﷺ لأصحابه عندمـا سألوه عن كيفية الصلاة عـليه ﷺ، وأكملها صيغة الـتي فيها الجمع بين الصلاة عليه والصلاة على إبراهيم ﷺ، وممن استدل بتفضيل الكيفية التي أجاب النبي ﷺ أصحابه بها: الحافظ ابن حجر في (فتح الباري).

---

(١) حسن موقوف: رواه أحمد (٢/ ١٧٢).

(٢) حسن بشواهده: أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٥)، وذكر الألباني في «صحيح ابن ماجة» (٧٣٩).

(٣) حسن لشواهده: أخرجه الترمذي (٤٨٤٠)، وابن حبان (٢٣٨٩).

فقد قال ـ رحمه الله ـ: قلت: واستُدل بتعليمه ﷺ لأصحابه الكيفية بعد سؤالهم عنها بأنها أفضل كيفيات الصلاة عليه؛ لأنه لا يختار لنفسه إلا الأشرف الأفضل، ويترتب عليه لو حلف أن يصلي عليه أفضل الصلاة فطريق البر أن يأتي بذلك. ثم ذكر أن النووي صوب ذلك في (الروضة)، وذكر كيفيات أخرى يحصل بها بر الحلف، ثم قال: والذي يرشد إلى الدليل أن البر يحصل بما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«من سره ان يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى عليه فليقل: اللهم صلي على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**[1].

عن ابن مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشر بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: **«قولوا: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد. والسلام ما قد علمتم»**[2].

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قيل: يا رسول الله، أما السلام عليكم فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: **«قولوا: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»**[3].

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٩٨٢)، والعقيلي (٣١٨/١)، والبيهقي (١٥١/٢).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤٠٥)، والترمذي (٣٤٥٠)، والنسائي (١٢٨٥).
(٣) متفق عليه: البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله، هذا التسليم، فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلي على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم»[1].

كذا في البخاري في كتاب تفسير القرآن - في باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الاحزاب:٥٦)، وقال في كتاب الدعوات - باب الصلاة على النبي ﷺ ذكر حديث كعب كما ذكرناه، ثم ذكر حديث أبي سعيد باختلاف قليل، قال: عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام عليك، فكيف نصلي؟ قال: «قولوا: اللهم صلي على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»[2].

عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلي على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[3].

وجميع روايات الكتب الستة والموطأ متفقة تقريبًا مع هذه الروايات، وفي بعضها زيادة «العالمين».

وفي سُنن أبي دادو عن عقبة بن عمرو قال: «قولوا: اللهم صلي على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد»[4].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٨٩)، والنسائي (١٢٩٣)، وابن ماجة (٩٠٣).

(٢) صحيح: انظر الذي قبله.

(٣) متفق عليه: البخاري (٢٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٩٨١).

وفي سُنن النسائي عن زيد بن خارجة قال: أنا سألت رسول الله ﷺ فقال: **«صلوا عليَّ واجتهدوا في الدعاء، وقولوا: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد»**[1].

وقد ورد في كيفية الصلاة على النبي ﷺ روايات كثيرة، لكنها لا تساوي شيئًا في الصحة بجانب روايات البخاري ومسلم وأصحاب السنن والموطأ، فلاينبغي العدول عنها إلى غيرها.

قال السيوطي في (الحرز المنيع): قرأت في (الطبقات) للتاج السبكي نقلاً عن أبيه، ما نصه: أحسن ما يُصلى به على النبي ﷺ بهذه الكيفية التي في التشهُّد، وهي رواية الصحيحين والسنن، قال: ومن أتى بها فقد صلى على النبي بيقين، ومن جاء بلفظ غيرها فهو من إتيانه بالصلاة المطلوبة في غير شك؛ لأنهم قالوا: كيف نصلي عليك؟ فقال: «قولوا»، فجعل الصلاة عليه منهم، ثم قال: وكان لا يفتر لسانه عن الإتيان بهذه الصلاة.

وبعد كلام قال: ولا خلاف أن من صلى على النبي ﷺ بكيفية من الكيفيات المروية الصحيحة الرواية عنه ﷺ في ذلك فقد أدى فرض الصلاة عليه ﷺ، وهذا الإجماع يشهد أنها على التخير، ويجب عند أهل النظر أن يتخير الإنسان للصلاة عليه أصحها سندًا وأتمها معنى. قال: وقد كنت في أيام شبيبتي إذا صليت على النبي ﷺ أقول: «اللهم صلي وبارك وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وسلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»، فقيل لي في منامي: أأنت أفصح أو أعلم بمعاني

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (١٢٩٢)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٥٣).

الكلم وجوامع فصل الخطاب من النبي ﷺ؟ لو لم يكن معنى زائد لما فضل ذلك النبي ﷺ، فاستغفرت الله من ذلك ورجعت إلى نص التفضيل في موضع الوجوب وفي موضع الاستحباب».

صيغ مختصرة في الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

قد درج السلف الصالح ومنهم المحدثون بذكر الصلاة والسلام عليه ﷺ عند ذكره بصيغتين مختصرتين: إحداهما: «صلى الله عليه وسلم»، والثانية: «عليه الصلاة والسلام»، وهذان الصيغتان قد امتلأت بها ولله الحمد كتب الحديث، بل إنهم يدونون في مؤلفاتهم الوصايا بالمحافظة على ذلك على الوجه الأكمل من الجمع بين الصلاة والتسليم عليه ﷺ.

يقول الإمام ابن الصلاح في كتاب (علوم الحديث): ينبغي له - يعني كاتب الحديث - أن يحافظ على كتبه الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ عند ذكره، ولا يسأم منْ تكرير ذلك عند تكرره، فإن ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجلها طلبة الحديث وكتبته، ومن أغفل ذلك فقد حُرم حظًا عظيمًا. إلى أن قال: وليتجنب في إثباتها نقصين: أحدهما - أن يكتبها منقوصة، صورة رامزًا إليها بحرفين أو نحو ذلك. والثانية - أن يكتبها منقوصة معنى، بأن لا يكتب «وسلم» وإن وجد ذلك في خط بعض المتقدمين.

وقال النووي في كتاب (الأذكار): إذا صلى أحدكم على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم، ولا يقتصر على أحدهما، فلا يقل: «صلى الله عليه» فقط، ولا «عليه السلام» فقط.

وقد نقل هذا عنه ابن كثير في ختام تفسيره آية الأحزاب من كتاب التفسير، ثم قال ابن كثير: وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، فالأولى أن يقال: «صلى الله وعليه تسليمًا».

وقال الفيروز آبادي في كتاب (الصِّلات والبُشر): ولا ينبغي أن تُرمز للصلاة كما يفعله بعض الكسالى والجهلة وعوام الطلبة، فيكتبون صورة «صلعم» بدلاً من صلى الله عليه وسلم.

الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة على النبي ﷺ :

١ - امتثال أمر الله - سبحانه وتعالى - وموافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ وموافقة ملائكته فيها.

٢ - حصول عشر صلوات من الله - عَزَّ وجَلَّ - على المصلي بالصلاة مرة واحدة على النبي ﷺ.

٣ - أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة أو أفردها.

٤ - أنها سبب لكفاية العبد ما أهمه.

٥ - أنها ترمي بصاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها.

٦ - أنها سبب لإبقاء الله - سبحانه و تعالى - الثناء الحسن والبركة للمصلي؛ لأن المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه ويبارك عليه وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، فلابد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك، والجزاء من جنس العمل.

٧ - أنها سبب لدوام محبة العبد لرسول الله ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، وهي سبب أيضًا لزيادة محبته ﷺ للمسلم وعرض اسم المصلي عليه ﷺ .. وكفى بالعبد نبلاً أن يذكر اسمه بين يدي رسول الله ﷺ.

٨ - أن العبد يرفع بصلاته على النبي ﷺ عشر درجات ويكتب له عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات.

٩ ـ أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.

١٠ ـ أنها سبب لرد النبي ﷺ على المصلي والسلام عليه.

١١ ـ أنها سبب لنفي الفقر.

١٢ ـ أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ.

١٣ ـ نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ.

١٤ ـ أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله.

١٥ ـ أنه يخرج بها العبد عن الجفاء.

١٦ ـ أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمره وأهله وعلمه وأسباب مصالحه؛ لأن المصلي داع ربه أن يبارك عليه ﷺ وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنس العمل.

١٧ ـ أنها سبب لنيل رحمة الله له؛ لأن الرحمة إما معنى الصلاة كما قاله طائفة، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلابد للمصلي عليه ﷺ من رحمة تناله.

١٨ ـ أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره.

١٩ ـ أنها سبب لتثبت القدم على الصراط والمرور عليه؛ لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي ﷺ: «ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه وأنقذته» رواه أبو موسى المديني وبنى عليه كتابه في الترغيب والترهيب، وقال هذا حديث حسن جدًا[1].

---

(١) ذكره ابن القيم في «جلاء الأفهام» (ص٢٥٢).

٢٠ ـ أن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقه وشكره له على نعمته التي أنعم الله بها علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصي علمًا ولا قدرة ولا إرادة، ولكن الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقه.

٢١ ـ أنها متضمنة لذكر الله وشكره ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله، فالمصلي عليه ﷺ قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله وسؤاله أن يجزيه بصلاته ما هو أهله.

٢٢ ـ أنها من محاب الله تعالى ومحاب رسوله ﷺ، فيكون بالصلاة على النبي ﷺ قد آثر محاب الله ومحاب رسوله على طلبه ورجائه، وآثر الله بتنفيذ أمره على غيره، فيكون الجزاء من جنس العمل في آثر الله على غيره آثره الله على غيره.

٢٣ ـ أنها سبب لطيب المجلس وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

مواطن الصلاة على النبي ﷺ:

الموطن الأول ـ في الصلاة في آخر التشهد: وهو أهمها وآكدها، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته، واختلفوا في وجوبه فيها.

الموطن الثاني ـ صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية: عن الزهري قال: سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف يحدث سعيد بن المسيب قال: **«إن السنة في صلاة الجنازة ان يقرأ بفاتحة الكتاب ويصلي على النبي ﷺ ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ إلا مرة واحدة ثم يسلم في نفسه».**

الموطن الثالث ـ عند ذكره ﷺ: وقد أُختلف في وجوبها كلما ذكر اسمه ﷺ، فقال الطحاوي والحليمي: تجب الصلاة عليهَ ﷺ كلما ذكر اسمه،

وقال غيرهما: ذلك مستحب وليس بفرض يأثم تاركه.

الموطن الرابع ـ عقب سماع الأذان؛ لقوله ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[1].

الموطن الخامس ـ عند دخول المسجد والخروج منه: قال ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»[2].

الموطن السادس ـ عند الدعاء: لحديث فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «عجل هذا»، ثم دعاه فقال له ولغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعد بما شاء»[3].

الموطن السابع ـ الصلاة عليه ﷺ يوم الجمعة: لحديث أوس بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم وفيه قُبض، وفي النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة، فإن صلاتكم معروضة عليّ»، قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْت؟ (يقولون: بُليت)، قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[4].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٤٨)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٧١٣)، وأبو داود (٤٦٥)، والدارمي (١/ ٢٦٤).

(٣) «صحيح الجامع» (٦٤٨)، «صحيح أبي داود» (١٣٣١).

(٤) سبق تخريجه.

الموطن الثامن - آخر القنوت: عن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات في الوتر، قال: «قل: اللهم اهدني فيمن هديت، وبارك لي فيما أعطيت، وتولني فيمن توليت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لايذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت، وصلى الله على النبي»[1].

الموطن التاسع - في الخطب: كخطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء وغيرها، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء»[2]، أي المقطوعة.

وعن شيبان عن قتادة في معنى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤)، فقال: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ابتدأها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله. وعن الضحاك قال: «إذا ذكرت ذكرت معي ولا يجوز خطبة ولا نكاح إلا بذكرك».

الموطن العاشر - عند اجتماع القوم قبل تفرقهم: عن النبي ﷺ قال: «**ما جلس قومًا مجلسًا ثم تفرقوا ولم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم من الله ترة**»[3].

الموطن الحادي عشر - عند الهم والشدائد وطلب المغفرة: كما في حديث كعب: «**إذن تكف همك ويغفر لك ذنبك**».

الموطن الثاني عشر - عند كتابة اسم النبي ﷺ.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، وابن ماجة (١١٧٨)، وأحمد (١/ ١٩٩-٢٠٠).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨٤١)، والترمذي (١١٠٦)، وذكره الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٦٩).

(٣) سبق تخريجه.

ذمّ من لم يصلِّ على النبي ﷺ:

قد عدها الحافظ ابن حجر الهيثمي في كتابه (الزواجر) من الكبائر، فقال: الكبيرة الستون: ترك الصلاة على النبي ﷺ عند سماع ذكره. ثم سرد الأحاديث، منها:

في الجامع برمز الحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «ايما قوم جلسوا فاطالوا الجلوس ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله تعالى ويصلوا على نبيه؛ كانت عليه ترة من الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[1]. وفيه: «البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل عليَّ»[2]. قال الشوكاني: قال الفاكهاني: هذا أقبح بخل وشح، لم يبق بعده إلا الشح بكلمة الشهادة.

وفي الحديث دليل على وجوب الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره. وفي الجامع برمز الترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ، ورغم انف رجل ادرك أبويه عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة، ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له».

وفيه برمز الطبراني عن الحسين عنه ﷺ قال: «من ذكرت عنده فلم يصلي عليَّ خطئ طريق الجنة»[3].

وفيه عن ابن عباس: «من نسي - أي ترك - الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة»[4]. أي فلم يبق له إلا طريق النار.

وفي (الزواجر) عن أبي عاصم عنه ﷺ: «الا اخبركم بأبخل الناس؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ، فذلك أبخل

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤) سبق تخريجهم.

الناس». ثم قال: «عُدَّ هذا» - يعني من الكبائر -[١]. هو صريح هذه الأحاديث؛ لأنه ﷺ ذكر وعيداً شديداً كدخول النار وتكرار الدعاء من جبريل والنبي ﷺ بالبعد والسحق، ومن النبي ﷺ بالذل والهوان والوصف بالبخل، بل بكونه أبخل الناس، وهذا كله وعيد شديد جداً، فاقتضى أن ذلك كبيرة - والله أعلم -.

الأصل الرابع

معرفة النبي ﷺ

أولاً: معرفة النبي ﷺ خلقاً:

وصف النبي ﷺ كأنك تراه:

❁ جمال النبي ﷺ:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «**رأيت رسول الله ﷺ في ليلة أضحيان، فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر، وعليه حلة حمراء، فإذا هو عندي أحسن من القمر**»[٢]. (أضحيان: مضيئة مقمرة).

عن البراء رضي الله عنه: «**كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً**»[٣].

عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة قال له رجل: أكان رسول الله ﷺ وجهه مثل السيف، قال جابر: «**لا، بل مثل الشمس والقمر مستديراً**»[٤].

عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان قائد كعب بن مالك من بنيه حين

---

(١) أخرجه الحارث في مسنده من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في «كنز العمال» (١/ ٤٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (١٠).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٤٤).

عَمي قال: سمعت كعب بن مالك يقول: «لما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه»[(١)].

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلت للرُّبيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله ﷺ؟ قالت: «لو رأيته لقلت الشمس طالعة»[(٢)].

وفي صحيح مسلم: «كان رسول الله ﷺ أبيض مليح الوجه»[(٣)].

وما أحسن من قال في وصف الرسول ﷺ:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ❖ ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيئًا أحسن من النبي ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه.

❁ لون النبي ﷺ:

عن أنس بن مالك وهو يصف رسول الله ﷺ قال: «كان أزهر ليس بالآدم ولا الأبيض الأمهق»[(٤)].

عن أبي الطفيل: «كان أبيض مليحًا مقصدًا»[(٥)].

عن نافع بن جبير قال: وصف لنا عليٌّ رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: «كان

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٥٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٨٠)، وعزاه للطبراني في «الكبير» و«الأوسط».

(٣) صحيح مسلم (٢٣٤٠).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٣٨-٢٣٤١).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٤٠)، وأبو داود (٤٨٦٤)، وأحمد (٥/ ٤٥٤). والمقصد من الرجال ليس بجسيم ولا طويل.

ابيض مشرب الحمرة»[١].

عن مُحرش الكعبي قال: «اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ليلاً، فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة»[٢].

✿ رأس النبي ﷺ:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس»[٣].

✿ وجه النبي ﷺ:

عن علي رضي الله عنه إذا وصف النبي ﷺ قال: «كان في وجهه تدوير»[٤].

✿ جبين النبي ﷺ:

عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يصف رسول الله ﷺ فقال: «كان مخاض الجبين»[٥].

عن الحسن بن علي عن خاله قال: «كان رسول الله ﷺ واسع الجبين»[٦].

✿ حاجب النبي ﷺ:

عن الحسن بن علي عن خاله قال: «كان رسول الله ﷺ أزج الحواجب سوابغ في غير قرن»[٧].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، ونقله السيوطي في «الخصائص الكبرى»، ورواه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٠٦).

(٢) أخرجه النسائي (٢٨٦٣)، وأحمد (٣/ ٤٢٦)،(٤/ ٦٩)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٣٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والبهقي في «الدلائل» (١/ ٢١٦).

(٤) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٧).

(٥) «تهذيب تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٣٣٦)، و«الدلائل» (١/ ٢١٤).

(٦) «شمائل الترمذي» (٨)، و«الدلائل» للبيهقي (١/ ٢٨٥).

(٧) «شمائل الترمذي» (٨)، و«الدلائل» للبيهقي (١/ ٢٨٥). ، ومعنى «سوابغ في غير قرن»: أي أنها طويلة لكنها غير متصلة ببعضها.

عن علي رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أغر أبلج»[١].

❁ حاجب النبي ﷺ:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «كنت إذا نظرت إليه قلت أكحل العينين وليس بأكحل»[٢].

وعن محمد بن علي عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ عظيم العينين، أهدب الأشفار، مشرب العين بحمرة»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان ينعت النبي عليه الصلاة والسلام قال: «كان أهدب أشفار العينين»[٤].

وعن علي رضي الله عنه قال: «كان أسود الحدقة أهدب الأشفار أدعج العينين»[٥].

❁ سمع النبي ﷺ:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ تام الأذنين»[٦].

❁ أنف النبي ﷺ:

عن الحسن بن علي عن خاله قال: «كان رسول الله ﷺ أقنى العرنين»[٧].

❁ فم النبي ﷺ:

عن الحسن بن علي عن خاله قال: «كان رسول الله ﷺ ضليع الفم أشنب»[٨].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥١٢).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٤٥)، وأحمد (٥/ ٩٧، ١٠٥).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥١١)، و«الدلائل» للبيهقي (١/ ٢١٢).
(٤) «الدلائل» للبيهقي (١/ ٢١٣).
(٥) «الدلائل» للبيهقي (١/ ٢١٣).
(٦) رواه ابن سعد في «الطبقات».
(٧) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٨)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٨٥).
(٨) انظر السابق.

✿ أسنان النبي ﷺ:

قال هند بن أبي هالة: «**كان رسول الله ﷺ مفلج الأسنان**»[١].

✿ عنق النبي ﷺ:

عن هند بن أبي هالة: «**كان عنقه جيدُ دمية في صفاء الفضة**»[٢].

وعن أم معبد الخزاعية: «**في عنقه سطعَ**»[٣].

✿ منكبي النبي ﷺ:

عن البراء رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ مربوعًا بعيد ما بين المنكبين**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «**كان رسول الله ﷺ عظيم مشاش المنكبين**»[٥].

✿ صدر النبي ﷺ:

عن هند بن أبي هالة قال: «**كان رسول الله ﷺ سواء البطن والصدر عريض الصدر**»[٦].

✿ بطن النبي ﷺ:

قالت أم معبد: «**لم تعبه ثجلة**»[٧]. الثجلة: هي كبر البطن.

✿ ذراعي النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله شبح الذراعين**»[٨].

---

(١) انظر ما قبلهما.

(٢) انظر ما قبله.

(٣) رواه الطبراني والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٥) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٤١).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠)، وقال: صحيح الإسناد.

(٨) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٢٨، ٤٤٨)، و«شبح الذراعين»: أي عريض الذراعين.

✿ كفي النبي ﷺ:

كان رسول الله ﷺ بسط الكفين[١].

وعن أنس ﵁ قال: «كان شثن الكفين»[٢]. وعنه: «كان ضخم اليدين»[٣]

✿ شعر النبي ﷺ:

عن أنس ﵁ قال: «كان شعراً رَجِلا، ليس بالجعد ولا بالسبط، بين اذنيه وعاتقه»[٤].

وعن البراء بن عازب ﵁ قال: «يبلغ شعره شحمة اذنيه»[٥].

وعن عائشة ﵂ قالت: «كان شعر النبي ﷺ فوق الوفرة ودون الجمة»[٦].

✿ طيب رائحة النبي ﷺ:

عن أنس ﵁ قال: «ولا شممت ريحاً قط أطيب من ريح رسول الله ﷺ»[٧].

وعن جابر بن سمرة ﵁ قال: «صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم رجع إلى أهله فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي احدهم واحداً واحداً. قال: وأما انا فمسح خدي. قال: فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار»[٨].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥٩٠٧)، ومسلم (٢٣٣٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٩١٠)، ومسلم (٢٣٣٨، ٢٣٤١). «شثن الكفين»: هو في أنامه غلظ بلا قصر، وهو يحمد في الرجال؛ لأنه أشد لقبضتهم.

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٩٠٦)، ومسلم (٢٣٣٨).

(٤) متفق عليه: البخاري (٥٩٠٥)، ومسلم (٢٣٣٨).

(٥) متفق عليه: البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٦) أخرجه أبو داود (٤١٨٧)، والترمذي (١٧٥٥)، وابن ماجة (٣٦٣٥).

(٧) متفق عليه: البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٨).

(٨) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٢٩).

❁ عرق النبي ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: «دخل علينا النبي ﷺ فَقَالَ عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سليم، ما هذا الذي تصنعين؟»، قالت: هذا عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب»[1].

- عن أم سليم: أن النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها، فتبسط له نِطعًا فيقيل عليه، وكان كثير العرق، فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير، فقال النبي ﷺ: «يا أم سليم، ما هذا؟»، قالت: «عرقك أدوف به طيبي»[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، وما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا ولا عنبرًا أطيب من رائحة النبي ﷺ»[3].

الأحاديث الجوامع في وصف النبي ﷺ

❁ حديث أم معبد:

الرسول ﷺ وأبو بكر، ودليلهما الليثي (عبد الله بن الأريقط) مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت برزة جَلدة تحتبي بفناء القبة، ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مرملين مسنتين، فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم نحرها. فنظر رسول الله ﷺ إلى كِسر الخيمة فقال: «ما هذه الشاة يا أم

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٣١)، والإمام أحمد (٣/ ١٧٧، ٢٩٠).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٣٢). ومعنى «أدوف» أي أخلط.
(٣) متفق عليه: البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).

معبد؟»، قالت: شاة خلَّفها الجهد عن الغنم، قال: «ابها من لبن؟»، قالت: هي أجهـد من ذلك، قال: «اتاذنين ان احلبـها؟»، قالت: بأبي وأمي، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها. فدعا بها رسول الله ﷺ، فـمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها في شـاتها، فتفاجت عليه ودرَّت واجـترت، ودعا بإناء يربض الرهط، فحلب فيـه ثجًا حتى علاه البهـاءُ، ثم سقاها حتى رويت وسقى أصـحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم رسول الله ﷺ، ثم أراضوا ثم حلبوا فيه ثانيًا بعد بدء حتى ملاء الإناء ثم غادره عندها، ثم بايعها وارتحل عنها.

فقل ما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عِجافًا يتساوكن هُزلاً ضُحًا مُخُهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبـد والشاء عازب حيال ولا حلوب في البـيت؟ فقالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال: صفيه لي يا أم معبد، قالت: «رايت رجلاً ظاهر الوضاءة، ابلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثُجلة، ولم تُزر به صَعلة، وسيم قسيم في عينه دعج، وفي اشفاره غطف، وفي صوته صهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، ازج اقرن، إن صم فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، اجمل الناس وابهاه من بعيد، واحلاه واحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هزر، كان منطقه خرزات نظم ينحدرن ربعة، لا يأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر»[1].

✿ برزة: أي خلا لها سن، فهي تبرز فليس بمنزلةالصغيرة المحجوبة.

✿مرملين: يريد قد نفد زادهم.

✿مسنتين: أي داخلين في السنة، وهي الجدب والمجاعة.

✿ كسر الخيمة: أي جانبها.

---

(١) حديث ام معبد: رواه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٧٦)، والحـاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، واستدل على صحته وصدق رواته بدلائل، ليس هذا محل بسطها.

* فتفاجت: فتحت ما بين رجليها للحلب.
* دعا بإناء يربض الرهط: أي يرويهم حتى يثقلوا.
* ثجا: سيلا.
* علاه البهاء: بهاء اللبن وهو وبيص رغوته، يريد أنه ملاها.
* فشربوا حتى أراضوا: يريد شربوا حتى رووا فنقعوا بالري.
* تشاركن الهزال: أي عمهن الهزال.
* الشاء عازب: أي بعيد في المرعى.
* ظاهر الوضاءة: ظاهر الجمال.
* أبلج الوجه: مشرق الوجه مضيئه.
* لم تعبه نحلة: تحول الجسم.
* لم تزريه صُقلة: تريد ليس بناحل ولا منتفخ، ويُروى: «لم تعبه ثجلة ولم تزريه صعلة»، والثجلة عظم البطن، واسترخاء أسفله، الصعلة صغر الرأس.
* وسيم قسيم: حسن وضيء.
* في عينيه دعج: سواد.
* وفي أشفاره غطف: طويل شعر العين.
* وفي صوته صهل: بحة وحسن.
* وفي عنقه سطع: طول.
* وفي لحيته كثاثة: كثرة الشعر.
* أزج أقرن: حاجباه طويلان ومقوسان.
* لا نزر ولا هزر: كلامه بين وسط، ليس بالقليل ولا بالكثير.
* لا يأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر: ليس بالطويل البائس ولا بالقصير.

«غصنًا بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرًا واحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إن قال انصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا أمره، محفود محشود لا عابس ولا مُفند». فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذُكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، فأصبح صوت بمكة عاليًا يسمعون الصوت ولا يدرون صاحبه، وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه ❖ رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت به ❖ فقد فاز من أمس رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم ❖ به من فعال لا تُجارى وسؤدد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ❖ ومقعدها للمؤمنين لمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وإنائها ❖ فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ❖ له بصريح ضرةُ الشاة مزيد
فغادرها رهنًا لديها بحالب ❖ يرددها في مصدر ثم مورد

فلما سمع حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ شبب يجاوب الهاتف:

لقد خاب قوم زلل عنهم نبيهم ❖ وقُدس من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلّت عقولهم ❖ وحل على قوم بنور مجدد
هداهم بعد الضلالة ربهم ❖ وأرشدهم من يتبع الحق يرشُد
وهل يستوي ضُلالُ قوم تَسفَّهوا ❖ عميٌ وهداةٌ يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ❖ ركان هدى حنت عليهم بأسعد
نبيٌ يرى ما لا يرى الناس حوله ❖ ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب ❖ متصديقها في اليوم أو في ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جَدهٌ ❖ بصحبته من يُسعد الله يسعد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ❖ ومقعدها للمؤمنين بمرصد

✿محفود محشود: عنده جماعة من أصحابه يطيعونه.

✿ لا عابس ولا مفند: غير عابس الوجه، وكلامه خال من الخرافة.

حديث عليّ رضي الله عنه في وصف النبي ﷺ :

قال : «لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد، وكان ربعة من القوم، لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط، كان جعداً رجلا، ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم، وكان في وجهه تدوير، أبيض مُشرب، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المُشاش، والكتد أجرد، ذو مسربة شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما ينحط في صبب، وإذا التفت التفت معًا بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله»[1] .

- الممغط : الذاهب طولاً .
- المتردد : الداخل بعضه في بعض قصراً .
- القطط : الشديد الجعودة .
- الرَجل : الذي في شعره حجونه ، أي تثن قليل .
- المطهم : البادن الكثير اللحم .
- المكلثم : المدور الوجه .
- المشرب : الذي في بياضه حمرة .
- الأهدب : الطويل الأشفار .
- الكتد : مجتمع الكتفين وهو الكاهل .
- المسربة : هو الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة .

---

(١) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٧)، وفي «السنن» (٣٦٥٨)، وأحمد في «المسند» (١/ ٩٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٨٦).

- الششن: الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين.
- التقلع: أي يمشي بقوة.
- الصبب: الحدور، تقول: انحدرنا في صبوب، وصبب
- جليل المشاش: رؤوس الأصابع.
- الشعير: الصاحب.

حديث هند بن أبي هالــة :

قال: «كان رسول الله ﷺ فخمًا مفخمًا، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رَجِل الشعر، إن انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه، إذا هو وفَّره أزهر اللون واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ من غير قرن، بينهما عرق يَدِرُّه الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله اشم، كث اللحية سهل الخدين، ضليع الفم مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق بادن متماسك، سواء البطن والصدر عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف - أو قال: شائل الأطراف -، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعًا، يخطو تكفيًا ويمشي هونًا، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعًا خافض الطرف، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، جُل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقي بالسلام»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (٨)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٨٥).

- فخمًا مفخمًا: أي عظيمًا معظمًا.
- المشذب: الطويل البائن.
- سـوابغ في غيـر قرن: وصف الحـواجب بأنها طويـلة ولكنها غـير ملتـقيـة ببعضـها. وهذا خلاف ما وصفتـه به أم معبد، وكانت العـرب تعيب القرن وتحب البلج، وهو أن ينقطع الحاجبان فيكون ما بينهما نقيًا.
- أقنى العرنين: طوله ودقة أرنبته وحدب في وسطه.
- يحسبه من لم يتأمله أشم: الشمم إرتفاع القصبة وحسنها واستواء أعلاها.
- المسربة: الشعر المستدق ما بين اللبة إلى السرة.
- بادن مُتماسك: يريد أنه مع بدانته متماسك اللحم.
- سواء البطن والصدر: يريد أن بطنه غير مستفيض، فهو مساوٍ لصدره.
- الكراديس: الأعضاء.
- أنور المتجرد: يريد به شدة البياض.
- طويل الزندين: الزند ما انحسر عنه اللحم، وللزند رأسان الكوع والكرسوع، فالكـرسوع هو رأس الزند الذي يلي الخنصـر، والكوع رأس الزند الذي يلي الإبهام.
- رحب الراحة: يريد واسع الراحة، فكانت العرب تحمد ذلك وتمدح به.
- شثن الكفين والقدمين: يريد أنها إلى الغلظ والقصر.
- سائل الأطراف.
- خمصان الأخمصين: الإخمص في القدم من تحتها وهو ما ارتفع عن الأرض في وسطهـا، أراد أن ذلك منه مـرتفع وأنه ليس بأزج، وهو الذي يـستـوي باطن قدمه حتى يمس جميعه الأرض.

- مسيح القدمين: أي ممسوح ظاهر القدمين.
- يخطو تكفيًا ويمشي هونًا: يريد أنه يميد إذا خطا ويمشي في رفق غير مختال.
- ذريع المشية: سريع المشية.
- إذا مشى كأنما ينحط من صبب: الصبب الانحدار.
- يسوق أصحابه: إذا مشى مع أصحابه قدمهم بين يديه ومشى وراءهم.

ثانيـــاً: معرفة النبي ﷺ خُلُقًا:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

يقول شيخنا أبي عبد الله مصطفى العدوي ـ حفظه الله ـ: «المعنى: فبرحمة الله ـ عزَّ وجَلَّ ـ عليك وعلى أصحابك ورأفته بك وبهم جعلك الله لينًا سهلاً لأصحابك، فأصبحت تتحمل أذاهم وتعفو عنهم إذا قصروا في حقك وتتغاضى عن ذي الجرم منهم إذا أجرم في حقك، كل هذا من فضل الله عليك وعليهم، إذ سهل لهم أخلاقك وحسنها لك ولهم»[1].

أليس من أوجب الواجبات وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة، فقد وصف ﷺ بكل خُلق عظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وحاصل خلقه العظيم ما فسرته به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه فقالت: «كان خُلقه القرآن»[2]. يغضب لغضبه ويرضى لرضاه، فمهما أمره القرآن فعله

(١) «التسهيل في تأويل التنزيل» سورة آل عمران (ص٤٢٤).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٧٤٦)، وأبو داود (١٣٤٢)، وابن ماجة (٢٣٣٣).

ومهما نهاه تركه، فكان سهلاً لينًا قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابرًا لقلب من سأله لا يحرمه ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإذا عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا إلا أتم عِشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه ولا يغلظ عليه في مقاله ولا يطوي عنه شره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إليه غاية الإحسان ويحتمله غاية الاحتمال.

هذا ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم، وكل خُلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: «خدمت رسول الله عشر سنين، فما قال لي: أفٍّ قط ولا قال لشي فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟، وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ»[1].

✿ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا قط ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خُير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تُنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله - عَزَّ وجَلَّ -»[2].

(١) صحيح: البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٣٠).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٢٨).

❁ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الاحزاب: ٤٥)، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله - عَزَّ وجَلَّ - حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا»[1].

❁ وعن أنس رضي الله عنه قال: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا لعانًا ولا سبابًا، وكان يقول عند المعتبة (المعاتبة) ما له تربت يمينه، وفي رواية: ترب جبينه»[2].

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة»[3].

❁ عن عمرو بن العاص قال: «كان رسول الله ﷺ يُقبل بوجهه وحديثه عليَّ حتى ظننت أني خير القوم»[4].

❁ وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال: «يا أنيس، اذهب حيث أمرتك». قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله[5].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٣٨).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٤٦)، وأحمد (٣/١٢٦).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٩٩).
(٤) الترمذي في «الشمائل» (٣٤٣).
(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣١٠).

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يُقال له ثمامة بن أُثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟»، فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا عدم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد فقال: «ما عندك يا ثمامة؟»، قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟»، فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «اطلقوا ثمامة».

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له: قائل: أصبوت؟ فقال: «لا ، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ»[1].

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤)، وأبو داود (٢٦٧٩).

ولما كانت الأخلاق الحسنة من نعم الله على العباد ترى النبي ﷺ يدعو ربه أنه يهديه لأحسن الأخلاق؛ قال ﷺ : «اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت»[١].

وورد أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء: «اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء»[٢].

✿ وفي رواية: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء»[٣].

وكان النبي ﷺ يدعو فيقول: «اللهم أحسنت خَلقي، فأحسن خُلقي»[٤].

فاستجاب الله دعائه فزين الله هذا الخَلق البشري بكل سمات الكمال الخُلقي في بشر زين الله هذا الخَلق بالحلم والعلم والرحمة والإنابة والتواضع والزهد والكرم والحياء والمروءة والشجاعة والرجولة والعفة والعفو والسخاء، بل وجمع له كل الصفات الحميدة في آية واحدة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).



(١) مسلم (٦/ ٥٧) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٣٨٤)، وهو صحيح لشواهده.

(٣) هي عند الترمذي (٣٥٩١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وفي الرواية المشار إليها ضعف، لكن يشهد لها ما قبلها.

(٤) أحمد في «المسند» (٦/ ٦٨) بإسناد صحيح عن عائشة.

الأصل الخامس

مطالعة معجزات النبي ﷺ

وهي كثيرة، فقد أيد الله ـ عَزّ وجَلّ ـ نبيه ﷺ بالمعجزات التي يتحدى بها البشر والتي يعجزون عن الإتيان بمثلها، كما أيد أنبياءه ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ من قبل، وكانت كل معجزة تقع لنبي مناسبة لحال قومه، فلما كان السحر متفشيًا في قوم فرعون جاءهم موسى ﷺ بالعصا تلقف ما يأفكون. ولما كان الناس في عهد عيسى عليه السلام متوسعين في أمر الطب وقد كثر فيهم الأطباء والحكماء؛ أيد الله عيسى ﷺ بمعجزة إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، بل وإحياء الموتى بإذن الله، والنفخ في الطير المصنوع من الطين فيكون طيرًا بإذن الله. ثم آيات أُخر جاءت وفق طلب الأقوام لما سأل النبيون ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ربهم ذلك، كما نزلت المائدة على عيسى ومن معه، وكما خرجت الناقة لقوم صالح عليه السلام.

ولما كان العرب الذين بُعث فيهم النبي ﷺ في غاية من البلاغة؛ جاءهم القرآن بمثل ما هم عليه وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، وعلى الرغم من تعدد معجزات نبينا ﷺ لكن تبقى معجزة القرآن أعظم معجزات النبي ﷺ والتي سوف نشير إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر.

معجزة القرآن الكريم :

قال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «ما من

الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[1]. والمعنى كما يقول شيخنا أبي عبد الله مصطفى العدوي ـ حفظه الله ـ: «المعنى والله أعلم: أن المعجزات التي أوتيها الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ كعصا موسى وناقة صالح وشفاء عيسى للموتى بإذن الله و...... و...... قد انتهت وانقرضت بانقراض أزمانهم وأعصارهم، أما معجزة القرآن فباقية مستمرة إلى يوم القيامة في خرقه للعادات وإخباره بالمغيبات وإرشاده للجنات والخيرات وتحذيره من الشرور والبليات، فما فيه يتحقق يومًا بعد يوم، فلله الحمد رب العالمين»

فالقرآن أعظم معجزة أيد الله بها نبيه ﷺ، فأخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، وهدانا الله به سبل السلام، وبيَّن لنا فيه كل خير يكون سببًا لدخول الجنة، فمن نالها فقد فاز الفوز العظيم، وحذرنا الله فيه من كل شر يورد النار، فمن وقع فيها فقد باء بالخزي العظيم .. فلله الحمد على هذا الكتاب القيم الذي لم يجعل له عوجًا من اتبعه لا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عنه فإن له معيشة ضنكًا ويُحشر يوم القيامة أعمى.

قص الله لنا فيه على لسان النبي الأمي الكريم خبر من سبقنا ونبأ من بعدنا، وجلَّى لنا فيه حكم ما بيننا، تحدى الله به أهل الفصاحة والبيان من فصحاء العرب وأذكيائهم على أن يأتوا بحديث مثله أو سورة أو بعض سورة فعجزوا، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (الطور: ٣٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣).

(١) متفق عليه: البخاري (٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢).

فوعظنا الله به ورقق قلوبنا وشفانا به، وفتح به آذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا، عرفنا بربنا الكريم الرحيم الذي له الأسماء الحسنى كلها، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، هدانا الله فيه لأقوم السبل من توحيده والإعرض عن الإشراك به، وحفظ الله لنا به أنفسنا، فحذر المؤمن من قتل أخيه غاية التحذير، وتوعد الكافر غياة الوعيد، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣).

وأوجب الله على قاتل المؤمن حدًا، فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ (البقرة: ١٧٨)، وقال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩)، وقال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ (الإسراء: ٣٣).

حفظ الله لنا به عقولنا، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١)، وأوجب الله على شارب الخمر حدًا يناله في الدنيا وإلا ففي الآخرة أو يتجاوز الله - عزَّ وجلَّ -، وذلك لأسباب منها درء المفسدة عن العقل.

حفظ الله لنا به أنسابنا، فحرم الزنى ، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢)، وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢)، وأوجب الله العدة على المطلقة المدخول بها حفظًا للأنساب كي لا تختلط، قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

وحفظ الله لنا به أعراضنا، قال تعالى محذراً من اغتياب المسلم: ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات: ١٢)، وقال سبحانه: ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ (الحجرات: ١١)،

وحفظ الله لنا به أموالنا، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ (النساء: ٢٩).

وحفظ الله لنا به أخوتنا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).

وحثنا على جلب المصالح والضرب في الأرض وتعميرها وإصلاحها، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٨).

هذا وقد قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في (فتح الباري): وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن في أربعة أشياء:

إحداها - حسن تأليفه والتئام كلمه مع الإيجاز والبلاغة.

ثانيها - صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظمًا ونثرًا حتى حارت فيهم عقولهم ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توافر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريعه لهم على العجز عنه.

ثالثها - ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة، مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب.

رابعها - الإخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي وبعضها بعده.

ومن غير هذه الأربعة الروعة التي تحصل لسامعه، ومنها أن قارئه لا يمل من ترداده وسامعه لا يمجه ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة، ومنها أنه آية

باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها ولا تنتهي فوائدها . . فلله الحمد رب العالمين على ما وهب وأعطى.

معجزة الإسراء والمعراج :

وهي من أكبر المعجزات التي أيد الله بها نبيه محمداً ﷺ ، أخرج مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أتيت بالبراق، (وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه)، قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن اخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا - صلوات الله عليهما -، فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل عليه السلام، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف ﷺ إذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعا لي بخير، قال الله - عز وجل -: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٧)، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟

قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون ﷺ، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل ﷺ فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى ﷺ، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل ﷺ فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها.

فأوحى الله إليَّ ما أوحى ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلتُ إلى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلتُ: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب، خفف على أمتي، فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف .. قال: فلم أزل أرجع بين ربي - تبارك وتعالى - وبين موسى ﷺ حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، ولكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه الإمام مسلم (١٦٢).

وعنصر الإعجاز في رحلة الإسراء الأرضية: هو الزمن؛ لأن النبي ﷺ انطلق من مكة إلى المسجد الأقصى في زمن قليل، وهذا الذي أنكره المشركون في مكة قالوا: نضرب لها أكباد الإبل شهرًا من مكة إلى بلاد الشام، وأنت تقول أنك انطلقت من مكة إلى المسجد الأقصى ثم إلى السموات العلى وعُدت في جزء من الليل؛ لأن الله قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ (الإسراء: ١).

وليلاً عند علماء اللغة أي في جزء من الليل، ولم يقل ليلة لتقول بأن الإسراء استغرق ليلة بكاملها، لا بل استغرق جزءًا من الليلة، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)، وانتبه لهذه الآية التي ختمت بقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وكان من السياق أن يقول: «إنه على كل شيء قدير»، «إنه عزيز حكيم» ليظهر عظمته وقدرته، وإنما قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، أي الذي سمع قول قومك لك ورأى فعل قومك بك، فقد رأى وسمع سبحانه ما فعله أهل مكة بالنبي ﷺ وما فعله أهل الطائف به ﷺ، فأراد ربنا أن يكرمه ويشرفه؛ لأن الإسراء معجزة فريدة ليست تأييدًا للدعوة بقدر ما هي تأييد لصاحب الدعوة بأبي هو وأمي ﷺ.

ويبقى أن نعلم عقيدة أهل السنة في رحلة الإسراء والمعراج، وأنها كانت بجسد النبي ﷺ وروحه يقظة لا منامًا، ولكن عُبّاد العقل ينكرون ذلك لعنصر الزمن، يقولون كيف يقطع هذه المسافة التي يقطعها الناس في شهور في لحظات؟

نقول: ألم يبدأ ربُنا ـ جل وعلا ـ الكلام بقوله ﴿سُبْحَانَ﴾، تنزيه لأفعاله وأسمائه وصفاته ـ جل وعلا ـ، أي إذا كان الفعل من الله فنزهوا فعل الله عن فعلكم ونزهوا صفات الله عن صفاتكم، ونزهوا قول الله عن قولكم ﴿الَّذِي

أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾، والعبد في اللغــة تطلق على الإنسان بروحه وبدنه، لا يطلق لفظ العبد على الروح دون البدن، والسرى هو السير ليلاً.

قال القاسمي ـ رحمه الله ـ: دلت الآية على ثبوت الإسراء، وهو سير النبي ﷺ إلى بيت المقدس ليلاً.

قال القاضـي عياض: وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسـراء بالجسد وفي اليقظة وهو الحق. قال: والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار.

ولا يعدل عن الظاهر والحقيقـة إلى التأويل إلا عند وجود نص أو قرينة تدل على أن الظاهر غيرمراد،إذ لو كان مـنامًا لقال بروح عبده، ولم يقل: ﴿بِعَبْدِهِ﴾، ولو كان منامًا لما كان فيه آية ولا معجـزة، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعـفاء من أسلم وافـتتنوا به، إذ فعل هذا في المنامـات لا ينكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته.

ومما يدل على أنه يقظة: مـا رواه البـخاري عن جـابر بن عبـد الله ﷺ أنه سمع رسـول الله ﷺ يقول: «لما كذبتني قريش، قمت في الحِجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»، فلو أنه أخبـرهم بأنها رؤيا رآها لما اختبروه بالسؤال عن آياته وعلاماته.

معجزة رفع بيت المقدس لنبي الله ﷺ حتى يراه وهو بمكة:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط. قال: فرفعه الله لي

انظر إليه ما يسألون عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي أقرب الناس شبهاً به عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم ﷺ قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه)، فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد، هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه فبداني بالسلام»[١] .

معجزة إنشقاق القمـــر:

إنشقاق القمـر آية عُظمى أعطاها الله لنبيه ﷺ دليلاً على نبوته ﷺ ، وقد قال الخطابي وغيره: إنشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وقد تواترت النصوص التي تثبت إنشقاق القمر، كما قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ وغيره قال: وهذا أمر متفق عليه، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

أخرج الشيخان من حديث أنس ﷺ أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما[٢].

وأخرج الشيخان أيضًا من حديث بن مسعود ﷺ قال: «انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ بمنى فقال: «اشهدوا»[٣].

وذهبت فرقة نحو الجبل. وفي رواية: انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ : «اشهدوا»[٤].

---

(١) صحيح مسلم (١٧٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٤) متفق عليه: البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠١).

معجزة حنين الجذع لرسول الله ﷺ:

ففي صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار - أو رجل -: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «إن شئتم»، فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يُسكَّن، قال: «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها»[(١)].

وفي سُنن الدارمي بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس، فجاءه رومي فقال: ألا أصنع لك شيئًا تقعد عليه وكأنك قائم، فصنع له منبرًا له درجتان، ويقعد على الثالثة، فلما قعد نبي الله ﷺ على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور حت ارتج المسجد حزنًا على رسول الله ﷺ، فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن، ثم قال: «أما والذي نفس محمد بيده، لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزنًا على رسول الله ﷺ»، فأمر به رسول الله ﷺ فدفن[(٢)].

وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث يقول: يا معشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إلى لقائه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

وبالجملة، فإن أحاديث حنين الجذع أكثر من أن تُحصر، ومن ثَم قال البيهقي - رحمه الله -: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف

---

(١) صحيح البخاري (٢٠٩٥)، وابن ماجة (١٤١٧).

(٢) الدارمي (٤١).

عن السلف، ورواية الأخبار الخاصة فيها كالتكلف، وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكًا كالحيوان، بل كأشرف الحيوان، وفيه تأييد لقول من يحمل: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (الإسراء : ٤٤)، على ظاهره، وقد نقل ابن أبي حاتم في (مناقب الشافعي) عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي قال: ما أعطى الله نبيًا ما أعطى محمدًا، فقلت: أعطي عيسى إحياء الموتى، قال: أعطي محمدًا حنين الجذع حتى سُمع صوته، فهذا أكبر من ذلك.

فهذا غيض من فيض وقليل من كثير من معجزات النبي ﷺ ، وللمزيد ينظر في كتب دلائل النبوة؛ ككتاب (دلائل النبوة) للبيهقي، و(دلائل النبوة) لأبي نعيم، و(الصحيح المسند من دلائل النبوة) لفضيلة الشيخ/ مقبل بن هادي الوادعي ـ رحمه الله ـ، وكتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض ـ رحمه الله ـ.

الأصل السادس
معرفة قدر النبي ﷺ

إذا أردت أن تعرف قدر النبي ﷺ ، فعليك بمعرفة قدره ﷺ عند ربه ومولاه ـ جَلَّ في علاه ـ، فإن شأنه عند الله عظيم وقدره عند ربه لكريم، فلقد خلق الله الخلق واصطفى من الخلق الأنبياء واصطفى من الأنبياء الرسل واصطفى من الرسل أولي العزم الخمسة: نوحًا وإبراهيم وموسي وعيسى ومحمدًا ـ صلوات ربي وسلامه عليهم ـ، واصطفى من أولي العزم إبراهيم ومحمدًا، ثم اصطفى محمدًا على جميع خلقه، فشرح له صدره ورفع له ذكره، وأعلى له قدره، ووضع عنه وزره، وزكاه ربه في كل شيء.

زكَّاه في عقله، فقال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (النجم: ٢).

وزكَّاه في صدق، فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ (النجم: ٣).

وزكَّاه في فؤاده، فقال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (النجم: ١١).

وزكَّاه في بصره، فقال سبحانه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم: ١٧).

وزكَّاه في صدره، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١).

وزكَّاه في ذكره، فقال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤).

وزكَّاه في طهره، فقال سبحانه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (الشرح: ٢).

وزكَّاه في حلمه، فقال سبحانه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

وزكَّاه كله، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

بأبي هو وأمي - ﷺ - .

أغر عليه للنبوة خاتم ❖ من نور يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ❖ إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ❖ فذو العرش محمود وهذا محمد

ويتجلى تكريم الرب العلي للنبي ﷺ في قسم الله - جل وعلا - بعمر الحبيب المصطفى ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غير محمد ﷺ، فقال - جل وعلا -: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢)، أقسم الله بحياة حبيبه المصطفى، فيقول ربه له: وحياتك يا محمد إن أهل الكفر والشرك في ضلالهم يترددون ويتحيرون. بل لم يقسم الله - جل وعلا - لنبي من أنبيائه بصفة الرسالة إلا للحبيب محمد ﷺ، فقال سبحانه: ﴿يس ① وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ② إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (يس: ١-٣).

يقسم الله لنبينا فقط بأنه رسولٌ من عنده، بل وأقسم الله بالضحى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى).

أقسم سبحانه بالضحى أنه ما أهمل محمداً ﷺ وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتباه، وأن ما أعده له في الآخرة خير له من كل ما أعطاه في دنياه، وقد جمع الله الكرامة والسعادة في الدارين مع الزيادة.

فعليك أيها المحب أن تتدبر لكلام الله لتقف عى قدر حبيبك عند ربه ومولاه، لقد خاطب الله جميع الأنبياء والمرسلين بأسمائهم مجردة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة:٣٥)، ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ (هود:٤٨)، ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ (الصافات:١٠٤-١٠٥)، ﴿يَا مُوسَىٰ ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ (طه:١١-١٢)، ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران:٥٥)، ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (ص:٢٠٦)، ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ (مريم:٧)، ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم:١٢)، ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ (هود:٨١).

أما النبي ﷺ، فنادى عليه ربه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب:٤٥-٤٦)، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ (المائدة:٤١)، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (المزمل:١-٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (المدثر:١-٧).

وما ذكر الله اسم النبي ﷺ إلا مقرونًا بالرسالة، فقال سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

وخصه ـ تبارك وتعالى ـ بالشفاعة العظمى في الآخرة، وهي المقام المحمود الذي ذكره ربنا في قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩).

وخصه سبحانه بالوسيلة، وهي أعلى منزلة في الجنة، كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن يؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله ليَّ الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي»[1].

وخصه الله بالكوثر، هل تدرون ما الكوثر؟ هو حوض أو نهر في الجنة، ماءه أشد بياضًا من الثلج، وأحلى مذاقًا من اللبن بالعسل وطيبه أو طينه كالمسك الأذفر، وعدد نجومه بعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة بيد الحبيب محمد ﷺ لا يشقى بعدها أبدًا حتى يسعد بالنظر إلى وجه الله في الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ② إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر).

وفي الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال جبريل:

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣٨٤).

هذا الكوثر الذي أعطاك ربك - عَزَّ وجَلَّ -، فإذا طيبه أو طينه مسك أذفر»[(١)].

واللفظ للبخاري.

وفي رواية مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «حوض أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من اللبن بالعسل، عدد آنيته أكثر من نجوم السماء، وإني لأرد الناس عنه يوم القيامة (أي من غير المؤمنين) كما يرد الرجل إبله عن حوضه»، فقالوا: وهل تعرفنا يومئذ يا رسول الله؟ (هل تعرف أمتك من بين سبعين أمة في أرض المحشر؟!)، فقال ﷺ: «إن لكم يومئذ سيما (أي علامة تختلفون بها عن كل الأمم)، تأتون أو تردون عليَّ غرًا محجلين من أثر الوضوء»[(٢)].

ثم أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بُعث فيهم محمد ﷺ أن يؤمنوا به وأن ينصروه، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

ويبين لنا النبي ﷺ مكانته عند ربه سبحانه، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من ينشق عنه القبر، وأنا أول شافع وأول مشفع»[(٣)].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا: أن النبي ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٥٨١)، ومسلم (٤٠٠).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٧)، والترمذي (٣٣٦١)، وابن ماجة (٤٣٣٥)، وأحمد (٢/ ١١٢).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٧٨)، والترمذي (٣١٤٨)، وأحمد (١/ ٢٨١).

لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الناس كافة، وختم بي النبيون»[1].

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: لما أُتي النبي ﷺ ليلة الإسراء بالبراق استصعب البراق على النبي ﷺ (أي انتفض البراق ولم يتمكن النبي ﷺ أول الأمر من ركوبه)، فقال جبريل للبراق: «بمحمد تفعل هذا؟ فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله من محمد»، فأرفض البراق عرقًا.

وفي صحيح مسلم من حديث أنس: أن النبي ﷺ قال: «آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول لي خازن الجنان: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول الخازن: بك أُمرت ألا أفتح لأحد قبلك»[2].

هذه هي مكانة النبي ﷺ عند الرب العلي سبحانه، ولما لا؟! أليس هو محمد ﷺ الذي جمع له ربنا جمال الخلَق مع كمال الخُلق وحسن الآداب ﷺ ، فلقد أكمل الله المحاسن والكمال البشري في الحبيب محمد ﷺ ، منَّ الله عليه بجمال الصورة واستواء البدء ووضاءة الوجه وقوة الفكر والعقل ودقة الفهم وسلامة القلب وكرم النسب وشرف الأصل ﷺ .

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٥٢٣)، والترمذي (١٥٥٣).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٧)، وأحمد (٣/١٣٦).

الأصل السابع
معرفة صبر النبي ﷺ على أذى الكفار والمنافقين حتى يصل إلينا هذا الدين

لقد تحمل النبي ﷺ أنواعًا عديدة من أذى المشركين، وكلما رأوا صموده لتبليغ دعوة الحق إلى الخلق زادوا في عنادهم والتفنن في إيذائه ﷺ، معنويًا بالسخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب والتضحيك، قصدوا بها تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية.

فرموا النبي ﷺ بتهم هازلة وشتائم سفيهة .. فكانوا ينادونه بالمجنون: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر: ٦)، ويصفونه بالسحر والكذب: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص: ٤)، وكانوا يستقبلونه بنظرات ملتهبة ناقمة وعواطف منفعلة هائجة: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (القلم: ٥١).

وكانوا يقومون بإثارة الشبهات وبث الدعايات الكاذبة ونشر الإيرادات الواهية حول هذه التعاليم التي يوحى إليه بها وحول ذاته وشخصيته ﷺ والإكثار من ذلك بحيث لا يبقى للعامة مجال في تدبر دعوته، فكانوا يقولون عن القرآن: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: ٥)، ويقولون: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ (الفرقان: ٤)، ويقولون: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ (النحل: ١٠٣)، ويقولون عن الرسول ﷺ: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: ٧).

ولم يكتف الأمر على التعذيب المعنوي، بل لقد أوذي النبي ﷺ حسيًا

بإيذاءات عديدة.

ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله، هل مر عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟» (يوم أُحد الذي شُج فيه وجهه الشريف، وكسرت رباعيته، ونزف الدم الشريف من جسده الطاهر ﷺ).

فقال ﷺ: «لقد لقيت من قومك ما لقيت يا عائشة، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، يوم عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال، وهو من أشراف أهل الطائف، فلما لم يجبني إلى ما أردت انطلقت وأنا مهموم على وجهي، ولم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب»[1].

والله ما ذهب النبي ﷺ إلى أهل الطائف يريد مالاً ولا جاهًا ولا وجاهة، بل ذهب إلى الطائف على قدميه المتعبتين الدائبتين لم يجد بعيرًا فسار على قدميه قرابة السبعين كيلو مترًا تحت حرارة الشمس التي تصهر الجبال وتذيب الحديد على رمال انعكست عليها أشعة الشمس فكادت أن تأخذ الأبصار، ذهب النبي ﷺ ليقول لهم: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا في الدنيا والآخرة، فماذا فعل به أهل الطائف؟ رموه بالحجارة، طردوه لم يقدموا له طعامًا ولا شرابًا، باستثناء عداس رضي الله عنه الذي أسلم ومنَّ الله عليه بالإيمان في هذه الرحلة، وعاد والدماء تنزف من قدميه.

يقول ﷺ: «فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ولم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فنظرت فإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فنادى عليَّ جبريل وقال: يا رسول الله، إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك، وقد أرسل الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم يا رسول الله، فنادى عليَّ ملك الجبال وقال: يا رسول الله،

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٤).

لقد أرسلني الله إليك، فمرني بما شئت فيهم - ثم قال ملك الجبال -: والله لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت». والأخشبان جبلان عظيمان بمكة، والله لو أمر النبي ﷺ ملك الجبال لحطم تلك الجماجم الصلدة وتلك الرؤوس العنيدة، ولسالت دماء من الطائف بحورًا وأنهارًا ليراها أهل مكة بمكة، ولكن نهر الرحمة وينبوع الحنان الرحمة المهداة والنعمة المسداة ما خرج إلا لله، فما انتقم لنفسه وما غضب لنفسه، ما غضب إلا لله، فما زالت الدماء تنزف من قدميه المتعبتين، ومع ذلك يرد نبي الرحمة على ملك الجبال ويقول: «لا يا ملك الجبال، بل إني أرجو الله تعالى أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله - جَلَّ وعَلا -»[1].

لقد لاقى النبي ﷺ من قومه أذىً كثيرًا، فتحمل النبي ﷺ من أجل تبليغ دعوة ربه - سبحانه وتعالى -.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتف محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر لو كان لي مَنَعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ.

والنبي ﷺ ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم قال:

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

«اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، والوليد بن عتبة، وامية بن خلف، وعقبة بن ابي معيط»، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق، لقد رأيت الذين سمَّى صرعى يوم بدر ثم سُحبوا إلى القليب، قليب بدر»[1].

وعن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت: حدثني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: اقبل عقبة بن ابي مُعيط ورسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة، فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديداً، فاقبل ابو بكر رضي الله عنه فاخذ بمنكبيه فدفعه عن رسول الله ﷺ ثم قال: «اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم».

والنبي ﷺ يصف ما صنعه به عقبة بن أبي مُعيط فيقول ﷺ: «اتدرون ما صنع هذا بي، جاء وانا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقي وغمزها، فما رفعها حتى ظننت ان عيني ستندران، وجاء مرة اخرى بسلا شاة فألقاه على راسي وانا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن راسي»[2].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ (الشعراء: ٢١٤)، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني عدي» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلاً بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي؟»، قالوا: نعم، ما جربنا

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).

(٢) القرطبي (١٣/٢٦).

عليك إلا صدقًا. قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (المسد: ١-٢)[(١)].

فهذا أبو لهب عم النبي ﷺ، بدلاً من أن يكون على دينه ويكون من المدافعين عنه، كان على العكس تمامًا، فلا هو على دينه ولا يحميه لقرابته، بل كان خلفه شبرًا بشبر وذراعًا بذراع ليصد الناس عنه.

ففي مسند الإمام أحمد: عن ربيعة بن عباد من بني الديل، وكان جاهليًا فأسلم، قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: «إنه صابئ كاذب»، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب[(٢)].

هكذا كان أبو لهب، أحد الأعداء الألداء لرسول الله ﷺ ولدعوته، بدأ حقده على الإسلام مع بداية ظهوره، فأظهر عداوته السافرة وحاول بكل ما يستطيع الصد عن سبيل الله وتكذيب ابن أخيه، وكانت زوجته تقاسمه العداء للنبي ﷺ، فلقد كانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فبئست الصاحبة كانت لزوج أثيم، انفردت هذه الشقية بعدة مواقف ضد رسول الله ﷺ، واستخدمت كل الطرق في محاربة الدعوة الإسلامية والانتقاص من رائدها الكريم ﷺ، وظلت على عداوتها إلى أن أخذها الله أخذ عزيز مقتدر.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٢) حسن: رواه أحمد (٤/٣٤١)، وابن هشام في «السيرة» (٢/٢٨٧).

فقد كانت تعير النبي ﷺ بالفقر، وكانت تضع الشوك في طريقه ﷺ، وكانت تنفق من مالها للصد عن سبيل الله . . قال سعيد بن المسيب: «كانت لها قلادة فاخـرة، فقالت: لأنفقنها فـي عداوة محمد، فـأعقبها الله منهـا حبلاً في جيدها من مسد النار».

وأوذي في بناته ﷺ بسبب دعوته لدين الله ـ عَـزَّ وجَلَّ ـ، فقد كان لأبي لهب من الأبناء معـتب وعتبة وعـتيبة، وكـان عتبة وعتـيبة قد عـقدا على ابنتي رسول الله ﷺ ، فلما بُعث رسـول الله ﷺ قال أبو لهب لابنيه: رأسي من رأسيكما، حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد، وقـالت أمهما أم جميل: طلقاهما يا بني فإنهما صبأتا، فطلقاهمـا،ولما طلق عتيبة أم كلثوم ﵂ جاء إلى النبيﷺ حين فارقها فقال: كفرت بدينك وفارقت ابنتك، لا تجيئني ولا أجيئك.

وفي رواية لابن عساكـر: أن عتيبة قال: والله لأنطلقن إلى مـحمد ولأوذينه في ربه، فانـطلق حتى أتى النبي ﷺ فـقال: يا مـحمد، هو يكفـر بالذي دنا فتـدلى، فكان قاب قـوسين أو أدنى. وفي رواية أنه قال: يا مـحمد، هو كـافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنى فـتدلى. ثم تفل في وجـه رسول الله ﷺ ورد عليه ابنته وطلقها.

أرأيت كـيف صـبر الـنبي ﷺ ، أوذي وضُرب وعُـذب، أُتهم بالسـحـر والكهانة والجنـون وغير ذلك، يوضع سـلا الجزور على كتـفيه ويـنثر سفـيه من سفهـاء قريش التراب على رأسه، ويتفـل شقي من الأشقياء في وجـهه، وقتلوا أصحـابه وحاولوا قتله، كل ذلك لاستنقـاذنا من النار، ونحن اقتدينا بغـيره ولم نهتد بسنته، فبأي وجه سنلقاه على الحوض، بأي عمل نرتجي شفاعته وبأي طاعة نأمل مقابلته في الجنة.

الأصل الثامن

مطالعة أخبار المحبين للنبي ﷺ

فمطالعة أخبار الصادقين في حبهم للنبي ﷺ تجعل نفسك تتشوق للإتيان بفعلهم وتتطلع إليه؛ لأن أخبار الأفاضل تغرس الفضائل في النفوس وتدفعها إلى تحمل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة والمقاصد الجليلة وتبعثها إلى التأسي بذوي التضحيات والعزمات لتسمو إلى أعلى الدرجات وأشرف المقامات، ومن هنا قال بعض العلماء من السلف: «الحكايات جند من جنود الله، يثبت الله بها قلوب أوليائه»، وشاهده من كتاب الله تعالى: قوله سبحانه: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ١٢٠).

وقال الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: «الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليَّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم». فمن أراد أن يتعلم الصدق في محبة النبي فليتعلمها من قصص محبة الصحابة للنبي، فهم أصحاب الحظ الأوفى من هذه المحبة، وقد وردت أخبار كثيرة في مدى محبتهم للنبي ﷺ وشوقهم إليه، فعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت: ما كان خالد يأوي إلى فراشٍ إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، يسميهم ويقول: هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم.

وعن أنس رضي الله عنه في قصة إسلام أبي قحافة رضي الله عنه قال: فلما مد يده يبايعه بكى أبو بكر رضي الله عنه فقال النبي ﷺ: «ما يبكيك؟»، قال: «لأن تكون يد عمك، « يقصد أبا طالب »مكان يده « يقصد أباه » ويقر الله عينك أحب إليَّ من أن يكون.

ومن ذلك قول عمر للعباس عم رسول الله ﷺ حين أسر يوم بدر: «يا عباس، أسلم، فوالله لئن تسلم أحب إليَّ من أن يسلم الخطاب أبي، وما ذلك إلا لما رايت

رسول الله ﷺ يعجبه إسلامك».

وعن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أُحد مع رسول الله ﷺ، فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرنيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل.

وسُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: «كان أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ».

ولما احتضر بلال رضي الله عنه نادت امرأته: وحزناه، فقال: «واطرباه، غداً ألقى الأحبة محمد وحزبه».

ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه، قال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك يضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال زيد: «والله ما أحب ان محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في أهلي»، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحد كحب أصحاب محمدٍ محمداً.

وعن سعيد بن المسيب قال: لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر، يقول عنه مولاه نافع: «لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع سنة النبي ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصُب في أصلها الماء لئلا تيبس».

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: «ما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا اجل في عيني منه».

وابن عمر يلبس النعال السبتية دومًا فيسأل عن ذلك فيقول: «لأن النبي ﷺ كان يلبسها، فأحب أن ألبسها».

علامات محبة النبي ﷺ (١)

القاضي عياض أجمل وأسنع في حديثه عن علامات محبة العبد للنبي ﷺ، فيقول ـ رحمه الله ـ: اعلم أن من أحب شيئًا آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقًا في حبه وكان مدعيًا، فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه، وأولها ـ الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩).

وإسخاط العباد في رضى الله تعالى، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا بني، إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل»**، ثم قال لي: **«يا بني، وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة»**(٢).

فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة، ولا يخرج عن اسمها، ودليله قوله ﷺ للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال: ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: **«لا تلعنوه، فإنه يحب الله ورسوله»**(٣).

---

(١) هذا الفصل كله نقلاً عن: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/ ٢٤).

(٢) الترمذي (٢٦٧٨) وهو ضعيف .

(٣) صحيح البخاري (٦٧٨٠) .

ومن علامات محبة النبي ﷺ :

كثرة ذكره له، فمن أحب شيئًا أكثر ذكره، ومنها كثرة شوقه إلى لقائه، فكل حبيب يحب لقاء حبيبه، وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون: «غدًا نلق الأحبة، محمدًا وصحبه».

ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع والإنكسار مع سماع اسمه، قال بعض العلماء: كان أصحاب النبي ﷺ بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا، وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقًا إليه، ومنهم من يفعله تهيبًا وتوقيراً.

ومنها محبته لمن أحب النبي ﷺ، ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار، وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم، فمن أحب شيئًا أحب من يحب، وقال ﷺ في الحسن والحسين: «اللهم إني احبهما فاحبهما»، وقال: «من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله، ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله»، وقال: «الله الله في اصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن احبهم فبحبي احبهم، ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك ان يأخذه»، وقال في فاطمة ﵂: «إنها بضعة مني، يغضبني ما اغضبها»، وقال لعائشة في أسامة بن زيد: «أحبيه، فإني أحبه».

فبالحقيقة من أحب شيئًا أحب كل شيئًا يحبه، وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس حين رأى النبي ﷺ يتتبع الدباء من حوالي القصعة: «فما زلت احب الدباء من يومئذ»، وهذا الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعامًا مما كان يعجب رسول

الله ﷺ، وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي ﷺ يفعل نحو ذلك. ومنها من أبغض الله ورسوله، ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر يخالف شريعته، وهؤلاء أصحابه ﷺ قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته. وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي: «لو شئت لأتيتك برأسه»، يعني أباه.

ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به ﷺ وهدى به واهتدى وتخلق به، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»، وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه، ويحب سنته ويقف عند حدودها، قال سهل بن عبد الله: «علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها إلا زاداً وبلغة إلى الآخرة». وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله».

ومن علامات حبه للنبي ﷺ شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم، كما كان ﷺ بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا، ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به، وقد قال ﷺ لأبي سعيد الخدري: «إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله»، وفي حديث عبد ابن مُغفل قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله، إني أحبك، فقال: «انظر ما تقول»، قال: والله إني أحبك ثلاث مرات، قال: «إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافًا».



مقتضيات المحبة الصادقة

المقتضى الأول : البراءة من الشـــرك :

إذا كنت صادقًا في دعواك محبة النبي ﷺ ، فلابد أن تنقي قلبك من كل شائبة من شوائب الشرك، قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «النفي المحض ليس توحيدًا، وكذلك الإثبات بدون النفي . . فلا يكون التوحيد إلا متضمنًا للنفي والإثبات معًا».

قال العلماء: لابد من التخلية قبل التحلية . . والتخلية هي أن تكفر بالأنداد والأرباب والآلهة والطواغيت.

نقِّب في قلبك؛ هل خليته من هذا، هل تبرأت من الأنداد والآلهة والطواغيت وأخلصت القلب لله وحده لا شريك له.

والطواغيت - جمع طاغوت -، والطاغوت كما قال عمر: «هو الشيطان». وكما قال مالك: «هو كل ما عُبد من دون الله». وكما قال ابن القيم: «هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع».

فأنت مأمور أيها المحب أن تكفر بكل الطواغيت على ظهر هذه الأرض، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٥٦)، لاحظ أن الله قد قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله، إذ لابد من التخلية قبل التحلية . . وأنت مأمور بالكفر بالأنداد، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة:١٦٥).

ومع هذا تجد كثيرًا من الناس ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ قد امتلأت قلوبهم بمحبة الأنداد من دون الله أو مع الله، ألم تسمع عن امرأة قد تخلصت من حياتها وانتحرت بسبب موت العندليب الأسود .. ألم تسمع عن رجل جلس في استادٍ للكرة فصرخ صرخة فقد فيها روحه؛ لأن فريقه قد مُنِيَ بهدف من الفريق الآخر.

ألم تسمع قول القائل:

هيبوني عيداً يجعل العرب أمة ❖ وسيروا بجثماني على دين برهم

سلام على كفر يوحد بيننا ❖ وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

ألم تسمع قول القائل:

آمنت بحزب البعث ربًا لا شريك له ❖ وبالعروبة دينًا ما له ثانٍ

ألم تسمع قول القائل: إن مصر ستظل فرعونية ولو وقف الإسلام حجر عثرة في طريق فرعونيتنا لنحينا الإسلام جانبًا لتظل مصر فرعونية.

ألم تسمع، وتسمع، وتسمع ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ.

قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت يا رسول الله، قال ﷺ: «أجعلتني لله ندًا، ماشاء الله وحده»[1].

دخل عدي بن حاتم على النبي ﷺ وهو يقرأ قول الله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة:٣١)، قال عدي: لا يا رسول الله، ما عبدناهم من دون الله، ففسر له النبي ﷺ الآية فقال ﷺ: «ألم يحلوا لهم ما حرم

(١) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٧)، وابن ماجة (٢١١٧)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢١٤)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٣٩).

الله ويحرمون عليهم ما أحل الله فأطاعوهم؟»، قال: بلى، قال ﷺ: «فتلك عبادتهم إياهم»[(١)].

وهذا فهم الكثير من الناس، يظن أن العبادة مقصورة على الركوع والسجود فحسب، بل العبادة لها معنى أعم وأشمل من ذلك، فالعبادة بمفهومها الصحيح: هي كل ما يحبه الله ويرضاه، ولاشك أن ما يحبه النبي ﷺ هو من جملة ما يحبه الله - عز وجل -، فإنك إذا تركت أي أمرٍ يحبه الله أو يحبه رسوله لقول أحد من الناس مهما كان، فتكون بذلك قد صرفت له العبادة من دون الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

المقتضى الثاني: تحقيق التوحيد للعزيز الحميد:

فإذا كنت صادقًا في محبتك للنبي ﷺ فعليك أن تحقق التوحيد بأقسامه لله - جلَّ وعلا -، عليك بتحقيق: توحيد الربوبية؛ ومعناه أن تقر بالخلق والرزق والأمر والتصريف والتدبير والإحياء والإماتة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (آل عمران: ١٥٤)، وهذا النوع من التوحيد لا يستطيع إنكاره أحد، بل قد أقر به مشركوا الجزيرة العربية، فإذا سألت أبا جهل: من خالقك؟ قال: الله. لو سألت المشرك: من رزقك؟ قال: الله. قال - جل وعلا -: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (العنكبوت: ٦١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٣)، وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٤)، وابن جرير الطبري (١٦٦٣٢).

وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف: ٩).

بل لقد انفـرد الأخنس بن شريق بأبي جهل، فـقال الأخنس: يا أبا الحكم، لا يوجد معـنا أحد الآن يسمعنا، أستحلفك بالله، أمحمـد صادق أم كاذب؟، فقـال أبو جهل: «ويحـك يا أخنس، والله إن محـمدًا لصادق». فـنزل قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الانعام: ٣٣). بل قال قائلهم: إني لأقر لمحـمد بالنبوة أكثر مما أقـر لابني بالبنوة. وللأسف الشديد مع إقرار المشركين بهذا النوع من التوحيد تجد بعـضًا ممن ينتسبون للإسلام عندما يقع في ضائقة يجزع ويتبرم ويضيق صدره، وهذا خرق في توحيد الربوبية.

يا صـاحب الهم إن الهم منفـرج	إبشـر بخـيـر فـإن المفـرج الله
وإذا بُـليت فـثق بالله وارض بـه	إن الذي يكشف البلوى هو الله
الله الذي يحدث بعد العسر ميسرة	لا تجـزعن فـإن الخـالق الله
والله مـالك غـيـر الله من أحـد	فـحـسـبك الله في كل لك الله

✿ وبعد إقـرارك بتوحيـد الربوبية عليك بتحـقيق توحيـد الألوهية؛ يعني أن تصرف العـبادة بركنيهـا من كمال الحب وكمـال الذل وبشرطيهـا من الإخلاص والإتباع إلى من يستحق العبادة، وهو الله - سـبحانه وتعالى -، والتوجه إله بكل الأفعال الظاهرة والبـاطنة، وعدم صرف أي عبادة من العبـادات لغير الله، سواء كـان ملكًا أو رسولاً أو وليًـا، فضـلاً عمـا دون ذلك من الأحجـار والأشجـار والقبور، حتى ولو على سبيل التوسل.

ومن ذلك الدعاء والاستغاثة وطلب المدد من الأموات والغائبين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الأحقاف: ٥-٦)، وقال تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (١٠٦) (يونس:١٠٦-١٠٧)، وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر:٢)، وقال ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»[1].

ومن ذلك النذر للقبور والصالحين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (البقرة:٢٧٠)، ومن ذلك نسبة علم مفاتح الغيب إلى الأنبياء أو الأولياء أو الكهان أو العرافين أو المنجمين، واعتقاد أنهم يصرّفون الكون، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام:٥٩)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان:٣٤).

وهذا شرك في الألوهية، وإذا أضاف إليه اللجوء إليهم ودعائهم ليضروا أو ينفعوا فقد زاد فيه شرك الربوبية، كمن يأتي السحرة والكهان ليسحروا له ويخبروه عن مستقبله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ (البقرة:١٠٢).

وسبب البلاء: هو الغلو في الصالحين، وبناء المشاهد والقباب والمساجد علي قبورهم، والتمسح بها والطواف حولها، وقد سد النبي ﷺ هذا الباب بقوله: «ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٢) مسلم (٥٣٢).

وقال ﷺ : «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١]، يحذر مما صنعوا، وأمر بهدم كل قبر مشرف (مرتفع)، فالمسلم الحريص على توحيده لله تعالى يتجنب الصلاة في المساجد التي بُنيت على القبور، سدًّا لذريعة الشرك، وكذلك يحرص عل عدم إتيان الأمورالتي تؤدي إلى الشرك؛ كتعليق الخيوط - والحلق - وحدوة الحصان - والحرز والودع - والتمائم - والأحجبة على أنها سبب لدفع العين والحسد والشر.

قال ﷺ : «ومن تعلق تميمة فلا اتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»[٢].
وقال ﷺ : «من تعلق تميمة فقد أشرك»[٣].

❁ ومن ذلك التطير (التشاؤم والتفاؤل بالطيور وغيرها). قال ﷺ : «الطيرة شرك»[٤].

❁ ومنه التوسل البدعي، بأن يقول للميت: «ادع الله لي»، «استغفر لي»، أما لو قال له: «أغثني» أو «اغفر لي» فهو شرك أكبر، وهو توسل شركي. أما طلب الدعاء من الصالحين الأحياء فإنه يجوز، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه للنبي ﷺ : «ادع الله لأم أبو هريرة»[٥]، وقول خباب بن الأرت للنبي ﷺ : «الا تدع الله لنا»[٦].

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٠٤)، والطيالسي (٢/ ١١٣).
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٥٣).
(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦).
(٤) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤).
(٥) مسلم (٢٤٩١).
(٦) البخاري (٣٨٥٢).

المقتضى الثالث: الــولاء والبــراء:

أخي الحبيب، بعدما خلصت نفسك من شوائب الشرك، وقمت بتوحيد الألوهية، عليك بعد ذلك بالولاء للمؤمنين، والبراءة من المشركين، فمن أصول هذه العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الشرك ويعاديهم، وذلك من ملة إبراهيم والذين معه.. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة: ٤).

وهو من دين نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١)، وهذه في تحريم موالاة أهل الكتاب خصوصًا، وقال تعالى في تحريم موالاة الكفار عمومًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة: ١)، بل لقد حرم الله على المؤمنين موالاة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليهم نسبًا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (التوبة: ٢٣) وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وكما أن الله سبحانه حرَّم موالاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٥-٥٦)، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩) ، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).

فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠)، فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم ويدعو بعضهم لبعض ويستغفر بعضهم لبعض.

وبعدُ أخي الحبيب، عليك أن تعي جيداً أنه لا يكون التوحيد إلا بالولاء والبراء، لا يصح اعتقادك إلا بالولاء والبراء؛ أن توالي الله ورسوله والمؤمنين وأن تتبرأ من الشرك والمشركين.

أتحب أعداء الحبيب وتدعي	❖	حباً له ما ذاك في الإمكان
وكذا تعادي جاهداً أحبابه	❖	أين المحبة يا أخي الشيطان
إن المحبة أن توافق من تحب	❖	على محبته بلا نقصان
فإن ادعيت له المحبة مع خلافك	❖	ما يحب فأنت ذو بهتان
نعم لو صدقت الله فيما زعمته	❖	لعاديت من بالله ويحك يكفرُ
وواليت أهل الحق سراً وجهرةً	❖	ولما تعاديهم وللكفر تنصرُ
فلا كل من قد قال ما قلت مسلم	❖	ولكن بأشراط هنالك تذكرُ
مباينة الكفار في كل موطن	❖	بذا جاءنا النص الصحيح المقررُ
وتصدع بالتوحيد بين ظهورهم	❖	وتدعوهم سراً لذاك وتجهرُ
هذا هو الدين الحنيفي والهدى	❖	وملة إبراهيم لو كنت تشعرُ

المقتضى الرابع :سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف :

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور: ٥١-٥٢). هذا هو شعار المؤمنين: سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف، فاعرض نفسك أخي الحبيب على أوامر النبي ﷺ نواهيه، هل امتثلت أمر النبي، هل اجتنبت نهيه، هل وقفت عند حدوده ﷺ، فإذا كنت من سمع الأمر وامتثل وسمع النهي فاجتنبَ الحد فوقف؛ فاسجد لربك شكرًا وسل الله أن يزيدك حبًا على حب لحبيبك ﷺ.

وإذا كنت ممن سمع الأمر فلم يستجب والنهي فلم ينته والحد فلم يقف، فاعلم أن زعمك لحب النبي ﷺ زعم باهت بارد لا ساق له ولا قدم .. شعار المؤمنين السمع والطاعة، وشعار المنافقين السمع والمعصية؛ قال - جل وعلا -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠)، هذا هو شعار المنافقين: ألم ترى يا محمد ﷺ إلى هذا العجب العجاب إلى قوم يزعمون أنهم آمنوا بك وما أُنزل عليك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمرهم الله أن يكفروا به.

لما نزل على رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٤)، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «اشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ، فانطلقوا حتى جثوا على الركب بين يديه وقالوا: يا رسول الله ﷺ، كُلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام

والجهاد والصدقة، ولقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فغضب النبي ﷺ وقال: «اتريدون ان تقولوا مـا قاله أهل الكتابين من اليهود والنصارى «سمعنا وعصينا»، بل قولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)»، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما أقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، قال: نعم، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، قال: نعم[1].

فانظر أخي الحبيب كيف استجاب الله وخفف عن الأمة، كل ذلك ببركة السمع والطاعة، فيا من تدعي محبة النبي ﷺ . . .

- أمرك النبي ﷺ بالصلاة في وقتها . . . فهل أديت الصلاة في أوقاتها؟.
- أمرك النبي ﷺ بترك الحرام والربا . . . فهل تركت الربا ؟.
- أمرك بعدم شرب الخمر فهل تركت الخمر ؟.
- أمرك بترك الزنا . . . فهل ابتعدت عن الزنا وأسبابه ؟.
- أمرك ببر الوالدين . . . هل امتثلت الأمر ؟.
- أمرك بالإحسان إلى الجيران . . . هل أحسنت إليهم ؟.
- أمرك بالإحسان إلى الأخوة والأهل . . . هل أحسنت إليهم ؟.
- أمرك بإعفاء اللحية . . . هل أعفيت لحيتك ؟.

---

(١) مسلم (١٢٥).

أعـرض نفسك على أوامـر النبي ﷺ ونواهيـه وحدوده، وأجب نفـسك بنفسك، واعرف مكانك من دعواك محبـة النبي ﷺ واعرف مدى صدقها من كذبها، فإن كنت صادقًا في دعواك فاحمد الله، وإن كانت دعوة بلا معنى فسارع قبل أن تصيبك فتنة أو عذاب أليم، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

واعلم يقينًا أنك إن عصيت رسـول الله ﷺ فقد عصيت الله، وإن أطعت رسول الله ﷺ فقـد أطعت الله، وإن امتثلت أمر النبي فقد امـتثلت أمر الله، قال - جَلَّ وعَلا -: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٧)، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (المائدة: ٩٢)، وقال سبـحانه: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، وقال - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)، وقال - جَـلَّ وعَلا -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١).

- قال ابن عباس: أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسُّنَّة.

- قال مجـاهد: أي لا تفتاتوا شيئًا على رسـول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسان نبيه.

- قال القـرطبي: لا تقدموا قولاً على قـول الله ولا تقدموا قولاً ولا فـعلاً على قول وفعل رسول الله ﷺ.

- وقال الشنقـيطي: لا حرام إلا ما حـرمه الله ورسوله، ولا حـلال إلا ما أحله الله ورسوله، ولا دين إلا ما شرعه الله على لسان رسول الله ﷺ.

فمن كذَّب النبي ﷺ فقد كذب الله، ومن ضيع السنة فقد ضيع القرآن، ومن كفر بالنبي ﷺ فقد كفر بالرحمن.

✿ ففي سُنن أبي داود من حديث المقدام بن معد يكرب أن النبي ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه (القرآن والسُّنَّة)، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم في من حرام فحرموه»، ثم قال ﷺ: «ألا إن ما حرم رسول الله كما حرم الله»[1].

هكذا أخي الحبيب، طاعة النبي ﷺ من جملة طاعة الله - عَزَّ وجَلَّ -، وإياك ثم إياك من التفرقة بين الكتاب والسُّنَّة، وكن لحوحًا على نفسك لتأتمر بأمر النبي ﷺ وتنتهي بنهيه وتقف عند حدوده، وليكن شعارك دومًا: سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف.

وتذكر أن عدم الطاعة للنبي ﷺ تكون وبال شؤم على صاحبها، فقد حكى الله - جَلَّ وعَلَا - عن الكفار في دركات جهنم قولهم: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾ (الأحزاب:٦٦)، فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم الندم.

✿ وفي الحديث: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٦)، وابن ماجة (١٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٧٢٨٠)، ومسلم (١٨٣٥).

وعنه ﷺ قال: «مثلي ومثلُ ما بعثني الله به؛ كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم، إن رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم .. فذلك مَثَلُ من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»[1] .

وفي الحديث الآخر في مثله كمثل مـن بن دارًا وجعل فيها مأدبة، وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمـدًا فقد أطاع الله، ومن عـصى محمدًا فقـد عصى الله، ومحمـد فرقٌ بين الناس[2] .

فـمن أطاع النبي ﷺ دخـل الدار وأكل من المأدبة أي دخـل الجنة، ومن عصى النبي ﷺ لم يدخل الجنة . . فطاعـة النبي ﷺ طاعة لله، ومعـصية النبي ﷺ معصية لله .

المقتضى الخامس: توقير النبي ﷺ :

فمن مقتـضيات المحبة ولوازمهـا: توقير النبي ﷺ وتبجيله وتعظيـمه حيًا وميتًا، وقد ورد من الآيات ما يدل على وجوب توقيره وامتثال أمره ﷺ .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات: ١)، وقال

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).
(٢) أخرجه البخاري (٩/ ١١٤).

سبحانه: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣)، وقال سبحانه: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح: ٩)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، ومن ذلك قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء: ٦٤)، وقوله سبحانه: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، وقوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: ٥٤)، وقوله سبحانه: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

هذا وقد قال الشنقيطي - رحمه الله - في تفسيره (أضواء البيان):

وقد دلت آيات من كتاب الله على أن الله تعالى لا يخاطبه في كتابه باسمه، وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم والتوقير كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (الأحزاب: ١)، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ (المائدة: ٤١)، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ (المزمل: ١)، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر: ١)، مع أنه ينادي غيره من الأنبياء بأسمائهم؛ كقوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ (البقرة: ٣٥)، ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (الصافات: ١٠٤)، وقوله: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود: ٤٦)، ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الأعراف: ١٤٤)، ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ (آل عمران: ٥٥)، ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ (ص: ٢٦).

أما النبي ﷺ فلم يذكر اسمه في القرآن في خطاب، وإنما يذكر في غير ذلك كقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، وقوله: ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ (محمد: ٢)، وقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ (الفتح: ٢٩).

ومن صور إكرام الله لنبيه ﷺ وثنائه عليه ودفاعه عنه:

قوله سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح: ١-٣)، وقوله تعالى: ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (الطور: ٢٩)، وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم: ٢)، وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النجم: ٣)، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ١-٤).

فعليه صلوات ربي وأفضل تسليماته، لما كانت هذه مكانته عند ربه سبحانه أنزل قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢)، فنزلت هذه الآية في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

أخرج البخاري من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: «قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: «أمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة»، فقال عمر: «بل أمِّر الأقرع بن حابس»، قال أبو بكر: «ما أردتَ إلا خلافي»، قال عمر: «ما أردتُ خلافك»، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا...﴾ (الحجرات: ١)، حتى انقضت»[1].

وأخرجه البخاري من طريق ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا ـ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ـ، لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم، أشار أحدهم

(١) البخاري (٤٣٦٧).

بالأقرع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بغيره، فقال أبو بكر لعمر: «إنما أردت خلافي»، فقال عمر: «ما أردت خلافك»، فارتفعت أصواتهما عند النبي ﷺ، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢)[١].

قال ابن الزبير ﷺ فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه[٢].

وروى الحاكم موصولاً بسند صحيح: أن أبا بكر لما نزلت الآية قال للنبي ﷺ: «آليت على نفسي يا رسول الله الا اكلمك بعد اليوم إلا كأخي السرار»[٣]، أي كالذي يقول لأخيه سراً من الأسرار، وأنتم تعلمون أن الذي يقول لأخيه سراً يهمس في أذنه حتى لا يُسمع السر؛ انظروا إلى أدب الصحابة مع النبي ﷺ.

ويستفاد من سبب نزول هذه الآية: امتثال مزيد الأدب مع رسول الله ﷺ وإيضاح ذلك أن الآية كما سلف نزلت في أبي بكروعمر رضي الله عنهما، وهما خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ومع ذلك نزل فيهما الذي نزل مع أنهما لم يخالفا رسول الله ﷺ في شيء أمر به، وإنما تقدما بقول قبل أن يقول رسول الله ﷺ كلمته، فجاءهم قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وكذلك جاءهم التهديد بإحباط العمل في قوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾، فتحرج سائر الصحابة بنزول هذه الآية حتى من الإجابة على الأسئلة التي تطرح عليهم

---

(١) البخاري (٧٣٠٢)، يقول شيخنا أبي عبد الله مصطفى العدوي ـ حفظه الله ـ: أن هذا الحديث صورته صورة المرسل، وقد ورد عند الترمذي (٣٢٦٦) بسنده عن ابن أبي مليكة حدثني عبد الله بن الزبير، فصرح ابن أبي مليكة بتحديث ابن الزبير له، فاتصل السند بذلك.

(٢) البخاري (٤٨٤٥)، والترمذي (٣٢٦٦)، والنسائي (٥٣٨٦).

(٣) الحاكم (٢/ ٤٦٢)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

من رسول الله ﷺ، مع علمهم بها، فكان ﷺ يسأله: «أي يوم هذا؟»[١]، وهم يعرفون هذا اليوم وأنه يوم النحر، ولكنهم يتحرجون من الإجابة تأدبًا وظنًا منهم أنه ﷺ يريد أن يسميه بغير اسمه، فيقولون: «الله ورسوله أعلم»، وكذا في إجابتهم لما سألهم رسول الله ﷺ: «أي شهر هذا؟»، وكذا لما سألهم: «أي بلد هذا؟».

وكذلك في حديث ذي اليدين أنه قال لرسول الله ﷺ حين سلم من الركعتين: «أقُصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟»[٢]. وقد كان في القوم أبو بكر وعمر ووجوه الصحابة، فهابوا أن يكلموا رسول الله ﷺ، وتكلم هذا الرجل. قال أبو المظفر السمعاني: لأنه لم يكن يعلم من قدره وعظم حقه ما كانوا يعلمون.

وبلغ التحرج غايته مع الصحابي الجليل ثابت بن قيس بن شماس بعد نزول قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، ففي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ: أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسًا في بيته منكسًا رأسه، فقال له: «ما شأنك؟»، فقال: «شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فحبط عمله، وهو من أهل النار»، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).
(٢) أخرجه البخاري (١٢٢٨)، ومسلم (٥٧٣).
(٣) البخاري (٤٨٤٦).

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إلى آخر الآية، جلس ثابت ابن قيس في بيته وقال: «أنا من أهل النار»، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: «يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ أشتكى؟»، قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: «أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار»، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة»[1].

انظر - رحمني الله وإياك - توقير الصحابة للنبي ﷺ وخوفهم على أنفسهم على الرغم من أنهم أطهر الخلق بعد الأنبياء والمرسلين وأحبهم للنبي ﷺ وأخلصهم لله سبحانه، إلا أنهم كانوا يسيئون الظن بأنفسهم، فكان جزاءهم أن رضي الله عنهم - سبحانه وتعالى -.

وصور توقير الصحابة للنبي ﷺ كثيرة ومتعددة، منها ما رُوي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «ما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ، ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه».

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر، فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم لهما.

---

(١) صحيح مسلم (١١٩).

وروى أسامة بن شُريك قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير.

وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله ﷺ (عام القضية المقصود به العام الذي جرت فيه القضية: أي الصلح، وهو عام الحديبية)، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى، وأنه ما توضأ إلا ابتدروا وضوءه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقًا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إلى النظر تعظيمًا له.

فلما رجع إلى قريش قال: يا معشر قريش، إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكًا في قوم قط مثل محمد في أصحابه. وفي رواية: إن رأيت ملكًا قط يعظه أصحابه ما يعظم محمدًا أصحابه.

✿ وعن أنس رضي الله عنه: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل.

✿ ولما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي ﷺ إليهم في القضية أبى وقال: «ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ».

✿ وعن المغيرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافر.

✿ وعن البراء بن عازب: لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الأمر فأؤخر سنين من هيبته.

وكذلك كان حال التابعين من بعدهم في توقيرهم للنبي ﷺ، فكان مالك ابن أنس لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا على وضوء إجلالاً له.

✿ وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله ﷺ توضأ وتهيأ ولبس ثيابه، ثم يحدث. قال مصعب: فسئل عن ذلك فقال: «إنه حديث رسول الله ﷺ».

✿ وعن مطرف قال: كان إذا أتى الناس مالكًا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم، وإن قالوا الحديث، دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جُددًا ولبس ساجة وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة، فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع، ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حَدَّث عن رسول الله ﷺ، وكان يكره أن يُحَدِّث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل. وقال: «أحب أن أفهم حديث رسول الله ﷺ».

✿ وكان قتادة يستحب أن لا يقرأ أحاديث رسول الله ﷺ إلا على وضوء.

✿ ولقد ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك: «يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قومًا فقال: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ١)، ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (الحجرات: ٣)، وذم قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ (الحجرات: ٤)، وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا، فاستكان لها أبو جعفر.

✿ روى البخاري عن السائب بن يزيد قال: كنت واقفًا في المسجد النبوي يومًا، فحصبني رجل - أي رماني بحصاة -، فالتفت فإذا هو عمر بن الخطاب،

فنادى عليَّ فذهبت إليه، يقول: فأشار إليَّ على رجلين في المسجد النبوي أمام قبر النبي ﷺ، فأشار إليَّ عمر وقال: آتني بهذين الرجلين، فجئته بهما، فلما وقفا أمام عمر قال لهما: «من أين أنتما؟»، قالا: من الطائف، قال عمر: «والله لو كنتما من أهل هذه البلد لأوجعتكما ضربًا، أترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ»[1].

✿ وكان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فيُنظر إلى لونه كأنما نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبة منه لرسول الله ﷺ.

✿ وكان عامر بن عبد الله بن الزبير إذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، وكان ابن سيرين ربما يضحك، فإذا ذكر عنده حديث رسول الله ﷺ خشع.. فحرمته ﷺ حيًا كحرمته ميتًا، وعدم توقيره ذنب يعاقب الله صاحبه.

فمن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «كل بيمينك»، قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت، ما منعه إلا الكبر»، قال: فما رفعها إلى فيه[2].

✿ ومن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث سعيد بن المسيب - رحمه الله - عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: «ما اسمك؟» قال: حزن، قال: «أنت سهل»، قال: لا أغير اسمًا سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٥٣)، وأبو داود (٤٩٥٦).

المقتضى السادس: توقير الصحابة رضي الله عنهم:

فتوقير الصحابة من لوازم محبة النبي ﷺ ومن تتمة توقيره ﷺ، وهم المختارون لصحبة النبي ﷺ؛ لطهرة قلوبهم ونقاء سريرتهم.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **«إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب الرجال بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه»**[1].

هذا الأثر جسد أنهم صفوة الخلق بعد الأنبياء: إنهم المهاجرون والأنصار الذين حملوا دعوة النبي المختار ﷺ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فاستحقوا بجدارة واقتدار أن يبشروا وهم في الدنيا بالجنة والنجاة في الآخرة من النار. إنهم أصحاب النبي ﷺ حملة هذا الدين والدعاة إليه بإخلاص، فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله، وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام. ولهم مثل أجر من بعدهم لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ، ومن دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦٠٠)، وإسناده حسن، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/١٧، ١٧٨)، وقال رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير»، ورجاله موثقون.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجة (٢٠٦).

وقد أثنى الله عليهم في كتابه العزيز وأثنى عليهم رسول الله ﷺ في سُنَّته المطهرة، وحسبهم ذلك فضلاً وشرفًا.. قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩).

وفي قوله سبحانه في حق الصحابة الكرام ﷺ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، أخير حكم وأغلظ تهديد وأشد وعيد في حق من غيظ بأصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه غل لهم أو لأحدهم، وقال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد: ١٠)، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ٨-١٠).

فهذه ثلاث آيات من سورة الحشر؛ الأولى منها في المهاجرين، والثانية في الأنصار، والثالثة في الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار مستغفرين لهم الله تعالى أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وليس وراء هذه الأصناف الثلاثة إلا الخذلان والوقوع في حبائل الشيطان، لذا قالت عائشة ﷺ لعروة بن الزبير

بشأن بعض هؤلاء المخذولين: «أمروا ان يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبوهم، إنهم أصحاب النبي ﷺ الذين عدلهم ربهم ونبيهم ﷺ».

قال الخطيب البغدادي في كتابه (الكفاية في علم الرواية): إن عدالة أصحاب النبي ﷺ ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختيارهم بنص القرآن، قال الرحيم الرحمن: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١).

وهم المخاطبون بقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٧٢-١٧٤)، وقال الله في حقهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٤)، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨).

والآيات في حقهم وفضلهم كثيرة - رضي الله عنهم جميعًا -، فهم خير الناس، كما قال النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم»[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فلو أحداً أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه»[2].

---

(١) البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣)، والترمذي (٣٨٥٨).

(٢) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤)، وأبو داود (٤٦٥٨).

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: مُر بجنازة فأثني عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «وجبت وجبت وجبت»، ومُر بجنازة فأثني عليها شراً، فقال نبي الله ﷺ: «وجبت وجبت وجبت»، قال عمر: «فدى لك ابي وامي، مُر بجنازة، فأثني عليها خيراً فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومُر بجنازة فأثني عليها شراً فقلت: وجبت وجبت وجبت»، فقال رسول الله ﷺ: «من اثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن اثنيتم عليه شراً وجبت له النار، انت شهداء الله في الأرض انتم شهداء الله في الأرض»[1].

✿ وفي صحيح مسلم عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، قال أبو بكر: «اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟»، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر، لعلك اغضبتهم، لئن كنت اغضبتهم لقد اغضبت ربك»[2]. فأتاهم أبو بكر فقال: «يا إخوتاه، اغضبتكم؟»، قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي.

✿ وفي صحيح مسلم من حديث أبي بردة عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي بعد العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «مازلتم هاهنا؟»، قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: «احسنتم أو اصبتم»، قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: «النجوم امنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم اتى السماء ماتوعد. وانا امنة لأصحابي، فإذا ذهبت

---

(١) صحيح، البخاري (١٣٦٧)، و مسلم (٩٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥٠٤).

أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[(١)].

والوارد في حق الصحابة من الآيات والأحاديث كثير، لكن مادام التفاضل سُنَّة من سُنَن الله في كونه فالله سبحانه، فاضل بين الشهور بعضها ببعض وفاضل بين الأيام بعضها ببعض، وفاضل بين الأنبياء وفاضل بين البلاد، فالواجب علينا بعد محبة الصحابة وتوقيرهم جميعًا أن نحفظ لأهل الفضل منهم فضلهم، الذين فَضَّلهم الله ورسوله على غيرهم.

وفي مقدمتهم الصديق أبو بكر رضي الله عنه، ذلك الرجل الذي عاين طائر الفاقة يحوم حول حب الإيثار، فألقى له الصديق حَب الحُبِّ على روض الرضا، واستلقى الصديق على فراش الفقر آمنًا مطمئنًا، فرفع الطائر الحَب إلى حوصلة المضاعفة وتركه هنالك، ثم علا أفنان شجرة الصدق يغرد للصديق بأغلى وأعلى فنون المدح ويتلو في حقه قول ربه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (الليل: ١٧-٢١).

✿ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنه ليس من الناس أحد أمَنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خُلة الإسلام أفضل، سدوا كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر»[(٢)].**

---

(١) رواه مسلم (٢٥٣١).

(٢) رواه البخاري (٤٦٧)، وأحمد (١/ ٢٧٠).

✿ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب»، فعد رجالاً[١].

✿ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر»، فبكى أبو بكر وقال: «هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله»[٢].

✿ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أهل الدرجات العُلى ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما»[٣].

✿ وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر وعمر من هذا الدين كمنزلة السمع والبصر من الرأس»[٤].

✿ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق زوجين من الأشياء في سبيل الله؛ دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام وباب الريان»، فقال أبو بكر: «ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة؟»، وقال: «وهل يُدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟»، قال:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٤)، والترمذي (٣٨٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٦١)، وابن ماجة (٩٤)، وأحمد (٢/ ٢٥٣).

(٣) رواه الترمذي، وابن ماجة، وأحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٣٠).

(٤) قال الألباني في «الصحيحة» (٨١٥): هذا إسناد حسن رجاله كلهم ثقات.

«نعم، وارجو أن تكون منهم يا أبا بكر»[1]، وفي رواية ابن حبان من حديث ابن عباس قال ﷺ: «أجل، وأنت هو يا أبا بكر».

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في (النونية):

ولسوف يُدعى المرء من أبوابها ❖ جمعًا إذا وفى حُلى الإيمان

منهم أبو بكر هو الصديق ذاك ❖ خليفة المبعوث بالقرآن

فرضي الله عن أبي بكر وسائر الصحابة الكرام

وثانيهم الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ذلك الرجل العملاق الذي بركت الدنيا بزينتها وزخارفها على عتبة داره فطلقها ثلاثًا وسرحها سراحًا جميلاً، وقام ينفض يديه من علائق هذا المتاع الزائل، واستأنف سيره وسط الصحراء تحت حرارة الشمس المحرقة.

تراه يجري وراء بعير قد ندَّ من إبل الصدقة يخشى عليه الضياع، يخشى أن يُسأل عنه بين يدي الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ يوم القيامة، أو تراه وهو الخليفة تراه منحنيًا على قِدر فوق نار مشتعلة ينفخ النيران تحت القدر لتنضح النيران طعمة سريعة لأطفال يتضورون جوعًا.

أو تراه واقفًا أمام خيمة رجل يبكي لامرأته التي أدركها كرب المخاض وهي لا تجد أحد يؤنسها، فيسرع ليأتي بزوجته وهو خليفة المسلمين لتقف مع هذه المرأة حتى تضع ولدها.

أو تراه يمشي في السوق يومًا يتفقد أحوال الناس، فيرى إبلاً ثمينة فيسأل عمر: «إبل من هذه؟»، فيقولون: إبل عبد الله بن عمر، وكأن حية قد انقضت

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

عليه فلدغته وأفرغت كل سمها في جوفه، فيقول: «بخ بخ، إبل عبد الله بن عمر، ائتوني به»، ويأتي عبد الله بن عمر يرتجف ويرتعد وهو من هو إمام في الزهد والورع، يقول عمر: «يا عبد الله، ما هذه الإبل؟»، فيقول عبد الله: «يا أبي، إبل مريضة هزيلة اشتريتها بخالص مالي وأطلقتها في الحمى ترعى واتيت بها إلى السوق لأبتغي ما يبتغيه المسلمون من الربح والتجارة».

فيقول عمر رضي الله عنه: «بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين، فإذا رأى الناس إبلك قالوا: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، فتسمن إبلك ويربوا ريحك يا ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله»، قال: «لبيك يا أبي، مرني بما شئت»، فقال عمر: «بع الإبل الآن، وخذ رأس مالك ورد الربح إلى بيت مال المسلمين».

إنه عمر الفاروق الذي اشتهت زوجته الحلوى يومًا وهو خليفة المسلمين، فأبى عليها وقال: «من أين لي ثمن الحلوى فأشتريها».

وصدق من قال فيه:

يا رافعًا راية الشورى وحارسها ❖ جزاك ربك خيرًا عن محبيها

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به ❖ رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

إن جاع في شدة قوم شركتهم ❖ في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها

جوع الخليفة والدنيا بقبضته ❖ منزلة في الزهد سبحان مواليها

فمن يباري أبا حفص وسيرته ❖ أو من يحاول للفاروق تشبيها

يوم اشتهت زوجه الحلوى ❖ فقال لها من أين لي ثمن الحلوى فأشتريها

ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى ❖ فقومي لبيت المال رديها

فذاك أخلاقه كانت وما عهدت ❖ بعد النبوة أخلاق تحاكيها

واسمع للنبي ﷺ وهو يضع تلك الأوسمة على صدر عمر رضي الله عنه، ففي سُنن الترمذي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[١].

❁ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا مراة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبراً»، فبكى عمر وقال: «أعليك أغار يا رسول الله؟!»[٢].

❁ وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم، رأيت الناس يعرضون وعليهم قُمص، فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليَّ ابن الخطاب وعليه قميص يجره»، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟، قال: «الدين»[٣].

❁ وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم، اوتيت بقدح لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج من اظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب»، قال من حوله: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم»[٤].

❁ وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر على النبي ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه، وفي رواية: يسألنه

(١) حسن، أخرجه الترمذي (٣٦٨٣).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٨٠)، ومسلم (٢٣٩٥).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٩١)، ومسلم (٢٣٩٠).
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٨١)، ومسلم (٢٣٩٠)، والترمذي (٢٢٨٥).

ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر يقمن يبتدرون الحجاب، فأذن له النبي ﷺ، فدخل عمر والنبي ﷺ يضحك، قال عمر: «اضحك الله سنك بأبي انت وامي، ما اضحكك؟»، فقال: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب»، قال عمر: «فانت يا رسول الله لأحق ان يهبن»،

ثم قال عمر رضي الله عنه: «اي عدوات افسهن، اتهبنني ولا تهبن النبي ﷺ؟»، قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ايه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك»[1].

إنه عمر الذي كان ينزل القرآن من عند الله - عَزَّ وجَلَّ - موافقًا لآرائه، يا لها من منزلة عظيمة ومنقبة جليلة، أكرم الله بها فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عن أنس رضي الله عنه قال عمر: «وافقت ربي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥). وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب. واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت هذه الآية»[2].



(١) البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٧).

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٠٢)، (٤٤٨٣)، والترمذي (٢٩٥٩) وأحمد (١/ ٢٣).

حرمة سب الصحابة ﷺ

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه»(١).

المدُ: هو نوع المكاييل، وهو ربع صاع، وهو قدر مُد النبي ﷺ.

وعن عبد الله بن المغفل أن النبي ﷺ قال: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي لهم أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذي الله أوشك أن يأخذه»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله - تبارك وتعالى - اختارني، واختار لي أصحابًا، فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منهم يوم القيامة صرف ولا عدل»(٣).

الصرف: النافلة.

العدل: الفريضة.

❁ وقال الإمام الذهبي - رحمه الله -: «إنما يعرف فضائل الصحابة ﷺ من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الله ورسوله وتعليم فرائضه وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسُّنن سنة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٨٧)، والترمذي (٣٨٦٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٣٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١١).

والأخبار شيئًا، فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثناءه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل المأثورة والوسائط من المنقول والطعن في الوسائط طعن في الأصل والإزدراء بالناقل ازدراء بالمنقول. وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق والزندقة والإلحاد في عقيدته»[1].

❁ وقال إمام أهل السُّنَّة / أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -: «ومن الحجة الواضحة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساويهم، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدًا فيهم أو تنقص أو طعن عليهم أو عرَّض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافض خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة، وأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص»[2].

وقال ﷺ: «احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[3].

وقال ﷺ: «لعن الله من سب أصحابي»[4].

وقال الميموني: سمعت أحمد يقول: «ما لهم ولمعاوية؟ نسأل الله العافية»، وقال لي: «يا أبا الحسن، إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام»[5].

---

(١) «الكبائر» للإمام الذهبي (ص٢٧٦). (٢) «السنة» للإمام أحمد (ص٧٨).

(٣) رواه ابن ماجة (٢٦٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٦).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١١١).

(٥) رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٣٥٩).

وروى ابن بطة بإسناد صحيح كما في (منهاج السنّة) لابن تيمية عن ابن عباس أنه قال: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة - يعني مع رسول الله ﷺ - خير من عمل أحدكم أربعين سنة»، وفي رواية وكيع: «خير من عمل أحدكم عمره»، ولما ذكر سعيد ابن زيد رضي الله عنه العشرة المبشرين بالجنة قال: «والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه، خير من عمل أحدكم ولو عمرً عمر نوح»[١].

وعن جابر رضي الله عنه: قيل لعائش: إن ناسًا يتناولون أصحاب النبي ﷺ حتى أبا بكر وعمر، فقالت: «وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر». ذكره ابن الأثير في (جامع الأصول)، وشاهد قول النبي ﷺ: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه؛ أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»[٢].

وأخيرًا، روى الإمام أحمد بسند حسن من حديث ابن مسعود موقوفًا عليه رضي الله عنه قال: «من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٠)، وابن ماجة (١٣٤)، وأحمد (١٦٢٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨١)، والترمذي (٢٤١٨)، وأحمد (٢/٣٠٣).

المقتضى السابع: نصرة النبي ﷺ والغيرة على عرضه:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ⁽⁸⁾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح: ٨-٩).

قال السعدي - رحمه الله - في (تفسيره): ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ أيها الرسول الكريم ﴿شَاهِدًا﴾ لأمتك بما فعلوه من خير وشر، وشاهدًا على المقالات والمسائل حقها وباطلها، وشاهدًا لله تعالى بالوحدانية والإنفراد بالكمال من كل وجه. ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من أطاعك وأطاع الله بالثواب الدنيوي والديني والأخروي، ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن عصى الله بالعقاب العاجل والآجل.

ومن تمام البشارة والنذارة بيان الأعمال والأخلاق التي يبشر بها وينذر، فهو المبين للخير والشر والسعادة والشقاء والشقاوة والحق من الباطل؛ ولهذا رتب على ذلك قوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، أي بسبب دعوة الرسول لكم وتعليمه لكم ما ينفعكم أرسلناه، لتقوموا بالإيمان بالله ورسوله المستلزم ذلك لطاعتهما في جميع الأمور، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه أي تعظموه وتجلوه وتقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم. فكما أن الإيمان به ﷺ فريضة، فكذلك توقيره ونصره ﷺ.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في (الصارم المسلول)[1]:

أن الله فرض علينا تعزير رسوله وتوقيره، وتعزيره نصره ومنعه، وتوقيره إجلاله وتعظيمه. وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق، بل ذلك أول درجات

---

(١) «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» (١٨٠).

التعـزير والتوقير، فـلا يجوز أن نصالح أهل الذمـة على أن يسمعونا شـتم نبينا ويظهروا ذلك، فإن تمكينهم من ذلك ترك للتعـزير والتوقير، وهم يعلمون أن لا نصالحـهم على ذلك، بل الواجب علينا أن نكفهم عن ذلك ونـزجرهم عنه بكل طريق، وعلى ذلك عاهدنهم، فإذا فعلوا فقد نقضوا الشرط الذي بيننا وبينهم.

وقال ـ رحمه الله ـ: إن نصر رسول الله ﷺ فرض علينا؛ لأنه من التعزير المفروض، ولأنه من أعظم الجهاد في سبـيل الله، ولذلك قال سبحانه: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (التوبة: ٣٨-٤٠)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (الصف: ١٤)، بل نصر آحـاد المسلمين واجب بقوله: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»[1]، وبقوله: «المسلم أخو المسلم، لا يسلمه ولا يظلمه»[2]، فكيف لا ينصر رسول الله ﷺ ؟!

ومن أعظم النصر حمـاية عرضه ممن يؤذيه وحماية عـرضه ﷺ في كونه نصرًا أبلغ منه في حق غيره؛ لأن الوقيعة في عـرض غيره لا تضر مقصوده، بل يكتب له بها حـسنات، أما انتهاك عرض رسـول الله ﷺ فإنه منافٍ لدين الله بالكلية، فإن العرض متى انتهك سقط الاحـترام والتعظيم، فسقط ما جاء به من الرسالة، فبطل الدين، فقيام المدحة والثناء عليـه والتعظيم والتوقير له قيام الدين

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٣)، والترمذي (٢٢٥٥)، وأحمد (٣/ ٩٩، ٢٠١).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠)، وأبو داود (٤٨٩٣).

كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله، وإذا كان كذلك وجب علينا أن ننتصر له ممن انتهك عرضه، والانتصار له بالقتل؛ لأن انتهاك عرضه انتهاك لدين الله، ومن المعلوم أن من سعى في دين الله بالإفساد استحق القتل، بخلاف انتهاك عرض غيره، فإنه لا يبطل الدين، والمعاهد لم نعهده على ترك الانتصار لرسول الله ﷺ منه ولا من غيره، فإذا سبه فقد وجب علينا أن ننتصر له بالقتل، ولا عهد معه على ترك ذلك فيجب قتله، وهذا بيِّن واضح لمن تأمله.

وقد كان الصحابة ﷺ أشد غيرة على عرض نبيهم ﷺ لفهمهم ما لسب النبي ﷺ من خطورة على الدين، لذا فلقد امتلأت السنة بالكثير من القصص التي تحمل تجسيداً لغيرة الصحابة على النبي ﷺ .. من ذلك:

▪ قصة العصماء بنت مروان: قال الواقدي (صاحب المغازي)[1]: أن عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد وكانت تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تؤذي النبي ﷺ وتعيب الإسلام وتحرض على النبي ﷺ وتقول:

فباست بني مالك والنبيت ❖ وعوف وباست بني الخزرج
أصعمتم أتاوى من غيركم ❖ فلا من مراد ولا من مذحج
ترجونه بعد قتل الرؤوس ❖ كما ترتجي مرق المُنضج

فقال عمير بن عدي الخطمي حين بلغه قولها وتحريضها: اللهم إن لك عليَّ نذراً لئن رددت رسول الله ﷺ إلى المدينة لأقتلنها، ورسول الله ﷺ ببدر، فلما رجع رسول الله ﷺ من بدر جاء عمير بن عدي في جوف الليل حتى دخل عليها في بيتها وحولها نفر من ولدها نيام، منهم من ترضعه في صدرها،

(١) «المغازي» للواقدي (١/ ١٧٢).

فجسها بيده فوجد الصبي ترضعه، فنحَّاه عنها ثم وضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها، ثم خرج حتى ﷺ الصبح مع النبي ﷺ، فلما انصرف النبي ﷺ نظر إلى عمير فقال: «اقتلت بنت مروان»، قال: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

وخشي عمير أن يكون أفتات على رسول الله ﷺ بقتلها، فقال: هل عليَّ في ذلك شيء يا رسول الله؟ قال: «لا ينتطح فيها عنزان»، فإن أول ما سمعت هذه الكلمة من رسول الله ﷺ، قال عمير: فالتفت النبي ﷺ إلى من حوله فقال: «إذا احببتم ان تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي»، فقال عمر بن الخطاب: «انظروا إلى هذا الأعمى الذي تسرى في طاعة الله»، فقال: «لا تقل الأعمى، ولكنه البصير».

فلما رجع عمير من عند رسول الله ﷺ وجد بنيها في جماعة يدفنونها، فأقبلوا إليه حين رأوه مقبلاً من المدينة، فقالوا: يا عمير، أنت قتلتها؟ فقال: نعم، فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون، والذي نفسي بيده، لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم. فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطرة، وكان منهم رجال يستخفون بالإسلام خوفًا من قومهم، فقال حسان بن ثابت يمدح عمير بن عدي:

بني وائل وبني واقف ❖ وخطمة دون بني الخزرج
متى ما دعت اختكم ❖ ويحها بعولتها والمنايا تجي
فهزت فتى ماجداً عرقه ❖ كريم المداخل والمخرج
فضرجها من نجيع الدما ❖ قبيل الصباح ولم تخرج
فأوردك الله برد الجنان ❖ جذلان في نعمة المولج

✿ ومن ذلك قصة الأعمى الذي قتل أم ولده: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر، فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه فأخذ المغول فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فلما أصبح ذُكر ذلك للنبي ﷺ، فجمع الناس فقال: «انشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام»، قال: فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتدلدل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليه حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر»[1].

المغول: شبيه المشمل، نصله دقيق ماض، والمشمل هوالسيف القصير.

✿ ومن ذلك: قصة محمد بن مسلمة رضي الله عنه وقتله كعب بن الأشرف اليهودي؛ لأنه آذى رسول الله ﷺ .. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله»، فقام محمد ابن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم»، قال: فأذن لي أن أقول شيئًا[2]، قال: «قل».

فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا الصدقة، وإنه قد عنَّانا[3]، وإني قد أتيت أستسلفك، قال: قال: وأيضًا والله لتملنه، قال: اتبعناه

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي (٤٠٧٠)، والدارقطني (٤/٢١٦)، والحاكم (٤/٣٥٤)، وصححه العلامة الألباني.

(٢) فأذن لي أن أقول شيئًا: أي أقول كلمة أخدعه بها، والحرب خدعة.

(٣) قد عنَّانا: أي أتعبنا وأجهدنا.

فلا نحب أن ندعه ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين، فقال: نعم ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو بوسقين، هذا عار علينا، ولكن نرهنك اللائمة، قال سفيان: يعني السلاح.

فواعده أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليه، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. وقال غير عمرو: ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب، قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، قيل لسفيان سماهم عمرو؟ قال: سمى بعضهم: قال عمرو جاءه برجلين، وقال غير عمرو أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر، قال عمرو: جاء معه برجلين، فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، وقال مرج ثم أشمكم، فنزل إليه متوحشًا وهو ينخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا (أي أطيب)، وقال غيرعمرو: قال عند أعطر نساء العرب وأكمل العرب، قال عمرو: فقال، أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه ثم أتوا رسول الله ﷺ فأخبروه[1].

وقد كان كعب بن الأشرف شاعرًا يهوديًا، وكان يهجو رسول الله ﷺ، وفي رواية جابر عند الحاكم في (الإكليل): فقد آذانا بشعره وقوى المشركين،

(١) متفق عليه: البخاري (٣٠٣١، ٣٠٣٢)، ومسلم (١٨٠١)، وأبو داود (٢٧٦٨).

فلما طلب النبي ﷺ فارسًا من الصحابة الكرام فرسان الإسلام، قام إليه محمد بن مسلمة رضي الله عنه، واستأذن النبي ﷺ في أن يعرض عليه بالكلام، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب، فأخبر كعبًا أن رسول الله ﷺ قد «عنانا» أي أتعبنا وبلغ منا الجهد، هي تحتمل ما فهمه كعب من أنهم سوف يملون رسول الله ﷺ، وهي تحتمل أنهم يبذلون في الإسلام ويتحملون المشاق في سبيل الله - عَزَّ وجَلَّ -.

وقد روى ابن إسحاق أن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال: «انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم». وقد ظهر في قصة قتل كعب بن الأشرف توفيق الله - عَزَّ وجَلَّ - لمحمد بن مسلمة وصاحبيه، وإنما دفع الصحابة الكرام إلى هذه المواقف شدة محبتهم للنبي ﷺ ومبادرتهم لتنفيذ أمره.

وقال ابن إسحاق: رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المؤمنين حتى آذاهم، فقال رسول الله ﷺ كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة: «من لي بابن الأشرف؟»، فقال له محمد بن مسلمة أخو بني الأشهل: «أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله»، قال: «فافعل إن قدرت على ذلك»[1].

وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام بن أبي الحقيق:

لله درُّ عصابة لاقيتهم ••• يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف

يسرون بالبيض الخفاف إليكم ••• فرحًا كأسد في عرين مغرف

حتى أتوكم في محل بلادكم ••• فسقوكم حتفًا ببيض ذفف

مستنصرين لنصر دين نبيهم ••• مستصغرين لكل أمر مجحف[2]

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ١٤٠).
(٢) «سيرة ابن هشام» (٣/ ١٤٢).

✿ومن ذلك قصة رافع بن أبي الحقيق، ويقال سلام بن أبي الحقيق: قال ابن هشام في (السيرة النبوية): لما انقضى أمر الخندق وأمر بني قريظة، وكان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ممن كان حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف في عداوة رسول الله ﷺ وتحريضه عليه، فاستأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق، وكان بخيبر، فأذن لهم[1].

ففي صحيح البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، فأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم، فقال عبد الله لأصحابه، اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهت به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على وتد.

قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقت عليَّ من داخل، قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليَّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري

(١) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٢٣١)، وأخرجه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٣٧) مختصرًا.

أين هو من البيت؟ ،فقلت: يا أبا رافع، قال: من هذا، فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش، فما أغنيت شيئًا، وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف، قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته.

فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا، حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته، فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاء فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: «ابسط رجلك»، فبسطت رجلي، فمسحها فكأنها لم أشتكها قط[1].

❁ وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فتمنيت أني أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: أي عم، هل تعرف أبا جهل؟، قلت: نعم، فما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يَسبُ رسول الله ﷺ ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل من، قال: فتعجبت لذلك.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٠٣٩).

وقال: وغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت لهما: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» فقال كل واحد منها: أنا قتلته؟ فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟»، فقالا: لا، فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال: «كلاكما قتله»[1]، وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء .. والقصة مشهورة في فرح النبي ﷺ بقتله وسجوده شكرًا وقوله: «هذا فرعون هذه الأمة»[2].

ومن سنَّة الله أن من لم يمكن المؤمنون أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله، فإن الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه، قال سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٤-٩٥)، فهذه الآية بشارة للمؤمنين الذين أُذوا بسبب سب نبيهم ﷺ ولم يُمكنوا من الانتصار له أن الله يكفيهم هذا الأمر ويثلج صدورهم بالنصر لرسوله ﷺ.

وقد ذكر أهل التفسير والسير إهلاك الله للذين كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسودان بن المطلب وابن عبد يغوث والحارث بن قيس.

وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر وكلاهما لم يُسلم، لكن قيصر أكرم كتاب النبي ﷺ وأكرم رسوله فثبت ملكه وكسرى مزَّق كتاب رسول الله

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢)، وأحمد (١/ ١٩٢).

(٢) أخرج بهذا اللفظ أحمد (١/ ٤٠٣)، والطبراني في «الكبير» (٨٤٧١)، وقال الطبراني في «المجمع» (٦/ ٧٩): رجاله رجال الصحيح غير وهب بن أبي كريمة وهو ثقة.

ﷺ واستهزء برسول الله ﷺ فقتله الله بعد قليل ومزق ملكه كل ممزق، وهذا والله أعظم تحقيق لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ (الكوثر:٣)، فكل من شنأه وأبغضه وعاداه ﷺ فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره.

وقد قيل أنها نزلت في العاص بن وائل أو في عقبة بن أبي معيط أو في كعب بن الأشرف، وقد رأى صنيع الله بهم. ومن الكلام السائر: «لحوم العلماء مسمومة»، فكيف بلحوم الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالمحاربة»[1]. فكيف بمن عادى الأنبياء ومن حارب الله تعالى حرب، وإذا استقصيت قصص الأنبياء المذكورة في القرآن تجد أممهم إنما أهلكوا حين آذوا الأنبياء وقابلوهم بقبيح القول أو العمل.

وهكذا بنوا إسرائيل إنما ضربت عليهم الذلة وباءوا بغضب من الله لقتلهم الأنبياء بغير حق مضمومًا إلى كفرهم، كما ذكر الله ذلك في كتابه، ولعلك لا تجد أحدًا آذى نبيًا من الأنبياء ثم لم يتب إلا ولابد أن تصيبه قارعة، وقد جرب المسلمون تعجيل الله بالانتقام من الكافرين، إذا تعرضوا لسب النبي ﷺ.

فاللهم عجل لنا بالنصر من عدوك وعدونا الذين سبوا رسولك ﷺ، ولا حيلة لنا في الانتقام له ﷺ، واثلج اللهم صدورنا بقرار عيوننا بالانتقام منهم، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

---

(١) البخاري (٢/ ٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٩١).

المقتضى الثامن : ترسيخ محبة النبي ﷺ في نفوس الأطفال :

إذ بها يتحــقق الشطر الثاني من الشهــادة، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ .

وقد سار السلف الصالح ومن خلفهم في تركيـزها وتثبيتها في نفس الطفل، إذ به تتحرك مشاعر الطفل وأحاسـيسه وتزيد حرارة الشعور الإسلامي، وتدفع به إلى كل خير وتحل له مشكلاته كلها، وتهون عليه كل مصيبة، ومن الملاحظ على النفس البشرية عامة أنها في مرحلة بنائها تحاول أن تتـشبه بأقوى شخصية حولها لتقتدي بها وتسير على هداها وتقلدها في كل حركاتها. والتربية الإسلامية طلبت أن يشد الطفل الصغير والرجل الكبير إلى شخص الرسول ﷺ ، إذ هو القدوة الراسخة الثابتة التي لا تتبدل، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وهو أفضل رسل الله أجمعين.

وما العذاب الذي تصاب به النفس البشرية، وما الأمـراض النفسية والعصبية المنتشــرة هنا وهناك إلا أثر من آثار البـعد عن القـدوة الصحيـحة وعـدم التشـبه برســول الله ﷺ ، وإنما نلاحظ من الأجـيال المنحـرفـة أنها تـعيش في فـراغ الشخصية تلهث وراء الموضات المتغـيرة بين فصل وآخر من فصول السنة وتركض وراء الممثلين المائعين المـنحرفين البعيـدين كل البعد عن المـنهج الرباني، وتهرول خلف بعض من يسـمون أنفـسهم مـفكري العصـر ورواده المثقـفين الذين ينفخ الشيطان في رؤوسهم فيحسبونه فكرًا نيرًا.

وهكذا نجد أهمية وجود شخصـية حية يقتدي بها الطفل الناشئ، وهل هناك أفضل من الاقتداء برسول الله ﷺ ، فكيف إذن نرسخ محبة النبي ﷺ ؟ :

أولاً - بالأمور التي ذكرناها سابقًا، وهي الوصول إلى حب الرسول ﷺ، ولكن يجدر التنبيه إلى أن الطفل لن يصل إلى هذه الأمور بنفسه، فلابد إذن من وجود وسيط مخلص بينه وبين النبي ﷺ، ونقصد به هنا أبوي الطفل؛ لأنه في بدء حياته لا يتعلم إلا من سلوك أبويه، فإذا ما سلك الآباء المسلك الصحيح إلى الله فسوف يخلفهم الأبناء على ذلك؛ لأن الطفل غالبًا يحب ما يحبه أبواه ويحاول تقليدهما في كل شيء.

فكل أمر يريد المربي أن يرسخه في نفس الطفل فعليه هو القيام به أمامه تكرارًا لينشأ الطفل على اعتقاد صحته، وإياك ثم إياك أن تختلف أقوالك لولدك مع أفعالك، وإلا فسوف تكون سببًا في تسرب أخلاق المنافقين إلى ولدك - والعياذ بالله -.

* ثم بعد ذلك بتعليمه القرآن؛ فينبغي لولي الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن منذ الصغر، وذلك ليتوجها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم وأن هذا كلامه تعالى وتسري روح القرآن في قلوبهم ونوره في أفكارهم ومداركهم وحواسهم، وليتلقيا عقائد القرآن منذ الصغر، وأن ينشأا ويشبا على محبة القرآن والتعلق به والائتمار بأمره والانتهاء عن مناهيه والتخلق بأخلاقه والسير على منهاجه.

قال الحافظ السيوطي: تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشأون على الفطرة ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال.

وأكد ابن خلدون هذا المفهوم بقوله: تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهالي الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب

من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات.

وتعلم الطفل للقرآن في الصغر ينقي سريرته، ويجعله محلاً صالحًا لقبول الخير، ومن أهمه محبة النبي ﷺ التي ننشدها.

❁ ثم بعد ذلك نسرد على آذانهم مواقف أطفال الصحابة مع النبي ﷺ ومحبتهم له، ومن ذلك ما فعله علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المسارعة لتلبية دعوة النبي ﷺ له إلى الإسلام دون استشارة أحد، وكذلك يعايش رضي الله عنه وهو في الثامنة من عمره الدعوة الإسلامية الأولى في مرحلتيها السرية والعلنية دون خوف أو وجل ويصلي مع النبي ﷺ وزوجته خديجة في شعاب مكة سرًا فيراه أبوه أبو طالب، فإذا بعلي لا يخاف ولا يتلجلج.

ثم هذا أنس رضي الله عنه وهو الطفل الصغير الذي قام على خدمة النبي ﷺ عشر سنين يتخلى عن أحب شيء إلى الأطفال ويستجيب للنداء ويسارع لتنفيذ الأمر النبوي، فيترك اللعب وينصاع للأمر، بل إن الأمر ليتعدى انتظار الأوامر وينتقل أطفال الصحابة إلى مرحلة أعلى في الحب الصادق، وذلك بترقب حاجيات النبي ﷺ ليسارعوا إلى وضعها أمامه بدون أن يتكلم أو يسمع أمرًا، وهذا من قيم الحب الخالدة.

❁ أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل الخلاء، قال: فوضعت له وضوءًا فقال: «من وضع هذا؟»، فأخبره فقال: «اللهم فقهه في الدين»[1].

---

(١) البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

✿ وروى الشيخان عن عطاء بن أبي ميمونة قال: سمعت أنسًا يقول: «كان رسول الله ﷺ يأتي الخلاء فأتبعه أنا وغلام من الأنصار بإداوة من ماء، فيستنجي به»[1].

✿ ومن حبهم للنبي ﷺ قتالهم لمن يؤذي النبي ﷺ، كما في قصة ابن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء.

وقد روى شهاب الدين الأبشهي في كتابه (المستطرف من كل فن مستظرف) قصة لطيفة في مبناها ومعناها، وهي أن غلمانًا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد، فوقعت الكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه، فأبى فقال غلامهم: سألتك بحق محمد ﷺ إلا رددتها علينا، فأبى - لعنه الله - وسب الرسول ﷺ، فأقبلوا عليه بصواليجهم فمازالوا يخبطونه حتى مات - لعنه الله -، فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلامان لذلك الأسقف وقال: «الآن عز الله الإسلام أن أطفالاً صغاراً شُتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا»، فأهدر دم الأسقف، والله سبحانه أعلم.

✿ وكذلك ينبغي تحفيظهم قدرًا من أحاديث النبي ﷺ.

✿عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا، فكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول إلا هاهنا رجالاً هم أسن مني.

✿وتشجيعهم على ذلك .. قال إبراهيم بن أدهم: قال لي أبي: يا بني، اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثًا وحفظته فلك درهم، فحفظت الحديث على هذا.

---

(١) البخاري (١٥٠)، ومسلم (٢٧١).

❁ وكذلك ينبغي تعليمهم سيرة النبي ﷺ وأصحابه ﷺ.

فلقد حرص الصحابة والسلف ﷺ على دراسة سيرة النبي ﷺ وتلقينها لأطفالهم، حتى إنهم ليقرنونها مع تعليم القرآن؛ لأنها الترجمان لمعاني القرآن مع ما فيها من إثارة العاطفة ومشاهدة الواقع الإسلامي، ولما لها من تأثير عجيب في النفس ولما تحمل في طياتها معاني الحب والجهاد في إنقاذ البشرية من الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق، ومن ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام.

فعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول: «يا بني، إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها».

وقال زين العابدين بن الحسين بن علي ﷺ: «كنا نُعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السور من القرآن».

المقتضى التاسع: التخلق بأخلاق النبي ﷺ والتأدب بآدابه:

وهما من لوازم المحبة الصادقة للنبي ﷺ، فإذا كنا نعلم أن الإنسان لابد له من متبوع يقتدي به وإلا اقتدى بهواه - ولا حول ولا قوة إلا بالله -، وإذا كان للمسلم شأن وللناس شأن آخر، فالمسلم لا يقتدي إلا بالقدوة الصالحة، فنجد أن القرآن قد رفع عنه عناء البحث عن القدوة، فحدد له أسوته وقدوته الصالحة؛ قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

❁ فالنبي ﷺ أسوة للمؤمنين ومثلاً أعلى في كل شيء، لذا قالت السيدة عائشة ﷺ في إجابتها لمن سألها: يا أم المؤمنين، أنبئني عن خلق رسول

الله ﷺ؟ قالت: «ألست تقرأ القرآن؟»، قلت: بلى، قالت: «فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن».

ألم يكن النبي ﷺ مثلاً أعلى في تحري الصدق وأداء الأمانة حتى سُمي بالصادق الأمين. ألم يكن مثلاً أعلى في التفاني في سبيل الحق؟ أليس هو ﷺ القائل: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

ألم يكن ﷺ مثلاً أعلى في الشجاعة والإقدام.. لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس أبي طلحة عري[1] في عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا»[2].

ألم يكن ﷺ مثلاً أعلى في الرحمة؛ عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»[3].

ألم يكن ﷺ مثلاً أعلى في الحياة الزوجية كزوج ووالد ورب أسرة وراعي ومسئول، وكأنه ﷺ قد تخصص في هذا الأمر فقط، ولم تشغله أعباء الأمة ومشاكلها.

ألم يكن النبي مثلاً أعلى في الحلم، وذلك واضح كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية،

---

(١) عري: ليس عليه سراج.

(٢) مسلم (٢٣٠٧).

(٣) البخاري (٧٠٧)، ومسلم (٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء [(١)].

ألم يكن النبي ﷺ مثلاً أعلى في الحياء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه» [(٢)].

ألم يكن النبي ﷺ مثلاً أعلى في التواضع؛ عن أنس رضي الله عنه يقول: «ما رأيت رجلاً التقم أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما رأيت رجلاً أخذ بيده فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده».

وهكذا كلما بحثت عن خلق كريم وجدت النبي ﷺ قد ضرب فيه المثل الأعلى، وسبحان من قال في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وكذلك آدابه ﷺ، فقد تأدب بأحسن الآداب ﷺ، فمن لوازم محبته ﷺ أن نتخلق بأخلاقه ونقتدي بآدابه ﷺ.



(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧).
(٢) متفق عليه: البخاري (٦١١٩)، ومسلم (٢٣٢٠).

مكارم أخلاق الرسول ﷺ

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا	منها وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينا لقامت وحدها	دينا يضيء بنوره الآناء
زانتك في الخُلق العظيم شمائل	يُغرى بهن ويولع الكرماء
وإذا سخوت بلغت بالجود المدى	وفعلت ما لم تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادراً ومقدراً	لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب	هذان في الدنيا هم الرحماء
وإذا غضبت فهي غضبة	في الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت ففي مرضاته	ورضى الكثير تحلم ورياء
وإذا خطبت فللمنابر هِزة	تعروا الندى وللقلوب بكاء
وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما	جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته	فجميع عهدك ذمة ووفاء
بك يا ابن عبد الله قامت سمعة	بالحق من ملل الهدى غراء
بُنيت على التوحيد وهي حقيقة	نادى بها الحكماء والعقلاء
الله فوق الخلق فيها وحده	والناس تحت لوائها أكفاء
والدين يسر والخلافة بيعة	والأمر شورى والحقوق قضاء
انصفت أهل الفقر من أهل الغنى	فالكل في حق الحياة سواء
ظلموا شريعتك التي نلنا بها	ما لم ينل في رومة الفقهاء
صلى عليك الله ما صحب الدجى	حادٍ وحنّت بالفلا وجناء

من ديوان الشاعر/ أحمد شوقي

ذكر شيء من معجزات النبي ﷺ شعراً

إليك رسول الله منا تحية ❖ وصلى عليك العابد المتهجد

فأنت رسول الله هادٍ ومهتدٍ ❖ نبي هدى للأنبياء مؤيد

وقد قال حسان وفي الشعر شاهد ❖ تجدده الأيام يُروي ويُنشد

أغر عليه للنبوة خاتم ❖ من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ❖ إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

فقلت شبيهًا بالذي قال إنني ❖ به مؤمنًا حقًا لربي موحد

فلا يقبل التوحيد إلا بذكره ❖ ليقرنه عند النداء الموحد

وما جاء يدعونا بغير دلالة ❖ ولكن بآيات تدل وتشهد

ومن ذاك جذع حن شوقًا إلى الرضى ❖ ومازال ساعات يميل ويُسند

وقد سمعوا صوتًا من الجذع بينًا ❖ فيا عجبًا ممن يشك ويلحد

ومن ذاك شاة خلوة الضرع مسها ❖ فدرت بغزر حافل يتزيد

فقام إليها الحالبان فأترعا ❖ أوانيهما والضرع ملآن أبرد

وسار إلى البيت المقدس ليلة ❖ مسيرة شهر وارداً ليس يطرد

يخبر بالعير التي في طريقه ❖ ليوقن أهل الشرك ذاك فيسعدوا

ومن ذاك أخبار عن الغيب قالها ❖ يعاين فيها الصدق فيها ويوجد

فسؤدده بالله إذ كان وحيه ❖ إليه وهل فوق النبوة سؤدد

فأظهر بالإسلام دعوة صادق ❖ فضل به قوم وقوم به هُدوا

تسلم أحجار عليه فصيحة ❖ إذا ما خلا في حاجة يتفرد

ويسمع من أصواتها في طريقه ❖ تمجده إن النبي مُمجدُ

وانشا ربي مُـزنة فـوق راسـه ⁂ رآها بحـيـرُ الراهب المتـعـبـد

تظلله من كل حـر يصـيـبـه ⁂ تقيم عليه ما اقام فـيـركـد

وإن سـار سـارت لا تفـارق رأسـه ⁂ فـقـال لهم هذا النبي مـحـمـد

حليم رحـيـم لين مـتـواضع ⁂ سـخي حـيي عـابد مـتـزهد

اللهم يا حي يا قيوم، إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار، يا عزيز يا غفار، يا كريم يا منان، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل والسر والعلن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلي اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أخوكم

(أبو عمر)

أشرف أحمد عثمان الأزهري

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين





رقم الصفحة

